روايات عبير

مارغريت رووم

قال الزهر: آه

www.lilas.com

٣٧

قال الزهر: آه
٣٧

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
CHATEAU OF FLOWERS

© MARGARET ROME 1971
© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف، مارغريت روم
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة
[illegible] الحدود

للمراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - رجل لا يطاق!

الحديقة مسترخية بفعل الحرارة الثقيلة المعتادة كل سنة في شهر [illegible] لا يزال [illegible] في انتظار [illegible] يطلق الرجيع. وفي هذا الحر الخانق، لا يسعك [illegible] في طين [illegible] ولا في رقابة وتبصر، ما ألبث أن أتعرق.

توقفت فلورا مبارد هنيهة عن تقصيص البازلاء الموضوعة في وعاء أزرق على ركبتيها وراحت تتأمل الحقل الفسيح. سقطت في مقعدها وأزاحت بيدها خصلة من شعرها كانت منهدلة على جبينها السلام. لكن من يرغب به؟ وليس لها أن تتبع مشيئة عادلة. لا حزن، لا آمال محطمة، ولا مأساة. لا شيء غير حياتها الفارغة حتى ولا حدث ... ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة.

يا ترى، ما هي رقة فعل أبناء رعية والدها القسيس، لو عرفوا أن الفتاة الشابة التي يعتزونها اليد اليمنى لوالدها الفتاة الطائشة والمتواضعة، التي أصبحت امرأة شابة مشرقة، الخالية من العقد العلم،

في الواقع، أن تعيش حياة أكثر اضطراباً، وأن تعبر خارج حدود القرية الصغيرة النائمة في منطقة ساسكس، حيث أمضت كل سنوات طفولتها ومراهقتها، وتتعرف الى العالم الواسع!

تحركت والدتها في المقعد المجاور لها، ولمعت عينيها الناعستين. وسألت فلورا في ريبة ملفقة:

«هل عاد والدك، يا حبيبتي؟»

ابتسمت فلورا. فالعاطفة العميقة التي يظهرها والداها نؤثر فيها باستمرار وترسخ فيها الاطمئنان. إنهما في سن نادجة، لكن حبهما أقوى مما كان عليه في أيام الصبا. وما زال الاحمرار يداهم خدي والدتها عندما يمدحها زوجها، وبدوره كان والدها يحب أن يسمع من زوجته كلام المديح. إنه رجل رائع وسكان غرينفيلد محظوظون بتسيهم الطبب. وكانت فلورا تعرف أن والديه زوجان لطيفان ويريدان لا يريان الشر في أي مكان، حتى الذين يخطئون يلتمسون منهما كل مساعدة مطلوبة، ولا يجدون أي اداانة من قبلهما ما يمكن أن يفعلوه. وربما لذلك كان الاشخاص المتصلون يخرجون من الرعاية وعلى شفاههم ابتسامة يعرفان الجميل وثقة مجددة لطيبتهم الانسانية.

ولذلك أيضاً كانت فلورا تشعر تجاه والديها بالحق نفسه الذي تستوحيه من جمعية الكشاف التي ترأسها.

أجابت فلورا في لهجة حانية:

«يا امي، لا داعي للقلق. صحيح أن والدي تأخر قليلاً. لكن لا تنسي، أن اليوم موعد زيارته للمستشفى. وتعرفين جيداً مدى تعلقه بالمرضى، وخاصة الجدد الذين يتأخر أبدا متأكدة من ذلك».

نهضت فلورا وأعطت والدتها الوعاء الأزرق المملو، بالبازلاء،

ثم تخطت مطولاً لتبدد الخدر الذي أصاب مفاصلها من جراء جلستها الطويلة.

ثم قالت:

«إني أشعر بتحسن الآن. البطالة لا تناسبني، يا امي».

رفعت جين مبارد عينيها نحو ابنتها الرائعة وابتسمت لها. فقد أنعم عليها الخالق بابنة بعد زمن طويل من الانتظار واصرار الاطباء أن لا أمل لها بالانجاب. فقد سمتها فلورا (أي زهرة) لأنها كانت تتمتع بجمال الازهار الخلابة التي تنمو في هذه الحديقة الغنية. وباعجاب أمومي، راحت جين تنظر الى ابنتها وتتأمل لون بشرتها الفاتح والخالي من أي عيوب، والتاج مثل ورق الزهر، وقمها الحساس الحلو، بلون الورد البري، وعينيها البنفسجيتين وشعرها الطويل الأشقر المنهدل على كتفيها النحيلتين كأمواج ثقيلة. لكن جسدها النحيل كان مليئاً بالصحة والعافية. وفوق كل شيء، كان مالكوم و جين مبارد متأكدين أن فلورا فتاة جميلة أيضاً في داخلها. كانت تلك طبيعة ناعمة وسخاء كبير، مما يجعل الجميع يحبونها. لكن هذا لا يمنعها من أن تبدو أحياناً فتاة عصرية، مسؤولة ومستعدة لتحمّل كل أعباء أبناء القرية وهمومهم.

رفعت فلورا حاجبها متسائلة. فأجابت والدتها الابتسامة التي كانت على وشك أن ترتسم على شفتيها. ثم نهضت لتتوجه الى المنزل:

«ساتركك لتغيري ملابسك، يا حبيبتي. سأعدّ طعام العشاء. وسيكون والدك قد عاد عندما يكون الطعام جاهزاً».

هزت الفتاة رأسها وشبكت ذراعها بذراع والدتها، ودخلتا معاً الى المنزل.

وبعد ساعة، وصل القسيس. مالكوم مبتارد. فكان العشاء حاضراً وزوجته وابنته في انتظاره. لكن، ما أن دخل المنزل حتى أدركنا أن شيئاً ما على غير ما يراء. كان على جبينه المألوف عادة تجويف عميق. وحلّ مكان لمعان عينيه المتألقتين رصانة عميقة. كان مالكوم مبتارد يتمتع بقلب واسع قادر على تحمل كل متاعب الناس الذين يحتاجون اليه، لكنه كان يعمل جاهداً وباستمرار للمحافظة على روح التوازن بين عمله وراحته، كي لا يأتي يوم يسقط فيه تحت ثقل المسؤولية الضخمة المتراكمة عليه. ومع ذلك، هذه المرة يبدو مضطرباً... الى درجة أنه بدا عاجزاً من الخفاء هذا التوتر.

سألته زوجته وهي تقترب منه:

- مالكوم، ماذا جرى؟ هلا حدثتني؟

تجلّيت فلورا طرح أي سؤال عليه. وفي مثل هذه الظروف كانت تعرف أنها آخر انسان يمكنه أن يحقق لعائلته السعادة المنشودة. انها إيمانيا كثيراً وتعرف أنها سوف يتألمان لو عرفا أنهما لا يستحقان الى رأيها في مثل هذه الظروف المرجفة.

هز مالكوم رأسه، وبدلاً من أن يتوجه الى غرفة الطعام حيث العشاء في انتظاره، توجه الى مكتبه وارتمى في مقعده الجلدي. ولما لحقت به زوجته و فلورا وجلستا في مواجهته، وهما قلقتان، راح يغول وهو يمر أصابعه في شعره الرمادي.

«أمضيت وقتاً شاقاً في المستشفى وخاصة في فترة ما بعد الغداء. والله يدري كم كان كثيراً عند المرضى الذين زرتهم في المستشفى الملكي الجنوبي. ومعظمهم من العميان الذين فقدوا نظرهم ولا أمل لهم بالشفاء...»

ثم أضاف في صوت تخلله الشجن قائلاً:

«ذلك الرجل الشاب يعيش في وحدة. أي وحدة! لا يسمح لأحد أن يقدم له التشجيع والغذاء. يرفض كل عروض الصداقة، وحسب ما قال لي، إنه لا يثق بالجراحين ولا حتى بالكهنة.»

انحنت نحوه زوجته ووضعت على يده وقالت:

«لقد عرفنا كل شيء منذ البداية، لا شك أنك ستشعر بتحسن بعد ذلك.»

لكنه أجاب بحدة ونبرة ضبطة:

«ليس المهم ما أشعر به أنا، يا جين. يجب أن أجد طريقة لأساعد هذا الشاب.»

لزمت زوجته الصمت. وبعد تنهد عميق سمع تصحيحها وقال:

«عندما وصلت الى المستشفى، كانت تنتظرني رسالة من سير فرانك هاملين، جرّاح العيون الشهير. ربما تتذكرين أني أخبرتك عنه. فهو يرسل معظم مرضاه الى المستشفى الملكي الجنوبي. وطلب مني سير فرانك في رسالته أن أزاه قبل استئناف زيارتي العادية. وهذا ما فعلت بالضبط.

انحنت فلورا حتى يتسنى لها الاصغاء بوضوح، لأن والدها يتكلم بصوت خفيض.

«طلب مني سير فرانك مساعدته في شأن مريض دخل المستشفى أخيراً، وهو شاب فرنسي، بينه وبين عائلة سير فرانك علاقة قديمة العهد والقصة التي أخبرني إياها مأساة حقيقية منذ سنتين. فقد هذا الشاب الفرنسي نظره بواسطة مادة الأسيد. وحتى الآن، كان الأطباء الفرنسيون يعدونه بأن هناك أملاً للشفاء لكنه أمل ضئيل. وبعد أن أجريت له ست عمليات من دون أي نتيجة تذكر، استنجدت عائلته

بالسير فرانك الذي طلب نقله الى انكلترا بالمستشفى الملكي الجنوبي ليعد الحادث كان المريض يلقى باطمئنانه ثقة عمياء. ولم يتذمّر أبداً من الآلام. لأنه كان متأكداً، بعد كل عملية، أنه سوف يستعيد نظره. لكن، شيئاً فشيئاً، كان تفاؤله يخفت الى أن حلّت مكانه المرارة. وأخيراً، بعد العملية الجراحية السادسة، رأى أمانه تتضاءل وأنسم ألاّ يدع أحداً يجري له عملية جراحية أخرى بعد الآن.

همست جين مبارد وهي على وشك البكاء:

«آه، يا له من رجل مسكين!»

قال الضابط:

«نعم. لا شك أنه يستحق الشفقة.»

سألت فلورا برصانة:

«لكن، ماذا ينتظر سير فرانك منك، يا أبي؟»

«يريدني أن أساعد هذا الشاب حتى يستعيد شجاعته، يا حبيبتي. إن سير فرانك متأكد تماماً أنه قادر على إجراء عملية جراحية ناجحة. ويرغب بشدة القيام بالمحاولة. وتوصلت عائلة المريض الى اقناعه بقبول العملية الجراحية الأخيرة. لكن وضعه النفسي منهار وهذا ما يقلق سير فرانك الذي يصرّ على أنه لا جدوى من اجراء عملية جراحية لانسان مصاب بانهيار نفسي مزمن. ولذلك طلب مني مساعدته. وهو يفضله حلول. وعائلة المريض حاولت أيضاً... لكن من دون جدوى. وأني اخشى أن يكون الجميع قد وضعوا آمالهم الأخيرة بي.»

احنى رأسه وكأنه استسلم لليأس، مما جعل زوجته تعترض قائلة:

«لكنك، يا حبيبي، قادر على مساعدته. أنا متأكدة من ذلك! كم مرّة

رحت تنقذ من عزم اليائسين، وكم مرّة جاءك أناس يشكرونك على مساعدتك لهم!»

هزّ القس رأسه وقال ببساطة:

«لقد حاولت. لكني فشلت. لم أر من قبل في عيني حقداً بهذا العمق، واستخفافاً بهذه الرحمة، ولا مبالاة بهذا الفحوص. ولادة ساخة كاملة. حاولت ازاحته عن رأيه. لكني لم أحصل منه سوى على ابتسامة صغيرة باردة، من وقت الى آخر. وعلى جواب سيئ وبخت له: «اني آسف، لكني لا أثق بالاطباء، ولا حتى بالكهنة!»

ثم أضاف القس بحسرة:

«ولا يثق حتى بالانسان نفسه. لقد أصبح هذا الرجل مثل انسان آلي، لا حسّ فيه. ولديّ شعور أن هذا الشاب أصيب بجرح عميق، ليس فقط جسدياً، بل إن كل الاحاسيس في أعماقه ماتت.»

خيّم صمت ثقيل، ثم قالت جين مبارد مليئة بالأمل:

«ربما فلورا تستطيع أن تفعل شيئاً...»

رفعت الفتاة وجهها بصورة مفاجئة وقالت:

«أنا؟ ماذا في استطاعتي أن أفعل؟ هل صحيح يا أبي، أني...»

لكن، عندما استدارت نحو والدها، توجبت لدى رؤيتها بريق أمل جديد في عينيه. وما لبث أن ابتسم قائلاً:

«صحيح! لماذا لم أفكر بذلك من قبل؟ هذا الأمر يستحق التجربة.»

«لا، يا أبي. لست قادرة...»

وخلال العشاء كانت فلورا تتخبط في أفكارها وتشعر بالذعر لدى تخيلها لقاء هذا الرجل الذي وصفه لها والدها، والاستقبال الذي ستتظرها لذا اعتبر تدخلها نوعاً من الوقاحة. لكن، أمام اضطراب

والدها. انتهت بالاستسلام والخضوع لارادة أهلها. وفي المساء، عندما دخلت غرفتها كانت قد وعدت والدها بأن تذهب في الغد لترى هذا الشاب الفرنسي المتدرب المطلب.

وبعد ظهر اليوم التالي، توجهت فلورا باكراً الى المستشفى. وهو اليوم المخصص لها لمساعدة الممرضات في المستشفى، ومهمتها أن تقرأ وتكتب الرسائل، والرد على الهاتف، ووضع لائحة بأسماء الاشياء التي لا يمكن الحصول عليها داخل المستشفى. وباختصار كانت تقوم بالمساعدة قدر الامكان. لكن في هذا اليوم بالذات، كانت تشعر بحاجة ماسة الى أن تتحدث مع انسان ما. قبل الاقتراب من المريض الذي وعدت أن تراه. وبعد تفكير طويل وجدت أن الانسان الوحيد الذي يمكنه أن يساعدها هي صديقتها الممرضة جينيفر دالتون، التي كانت تعمل في الجناح الذي من المفروض أن تتوجه اليه.

ووجدت فلورا صديقتها في مكتبها الصغير تحتسي فنجاناً من الشاي وهي تراجع التقارير الموضوعة أمامها على الطاولة. وبعدما طرقت الباب مدت رأسها وسألت:

« جينيفر، هل تسمحين لي بدقيقة من وقتك؟»

أجابتها صديقتها بترحاب:

«ادخلي، يا فلورا، لقد جئت في الوقت المناسب! كنت على وشك الصراخ الذي وزية لتقارير الممرضين اللامعة وطريقة خطهم. يعتقد المرء أن كاتبها هو صبي. استعمل ريشة قديمة.»

اقترحت على صديقتها وهي تقدم لها كرسي لتجلس عليها:

«هل تريدين فنجاناً من الشاي؟»

أجابتها فلورا وهي تسقط في المقعد:

«كلا، شكراً. إن ما أريده هو نصيحة منك.»

وبعد أن ألقت جينيفر نظرة الى وجه فلورا المضطرب، صرخت بغيظ:

«هل من الضروري، يا فلورا، أن تهتمي دائماً بمشاكل المعذبين الذين تلتقينهم؟»

كانت فلورا على وشك الاحتجاج، لكن صديقتها رفعت يدها قائلة:

«آه، لا تحاولي الاجابة. أعرف، هذه المرة، الأمر يختلف.»

انحنت الى الامام واضافت:

«في كل مرة، الأمر يختلف. وفي كل مرة، النتيجة هي نفسها. ترهقين نفسك من أجل مريض لا يستحق مساعدتك، حتى ستشكرين بنفسك! هذا ما أريد أن أعرفه.»

لكن محاضرة صديقتها لم تؤثر فيها. أيها تعرف جينيفر تمام المعرفة. لأول وهلة ترجم الشابتان مختلفتين تماماً فتكونا صديقتين، لكن طبيعة فلورا الحجولة والمتحفظة بحاجة الى حيوية جينيفر الواثقة.

أعلنت فلورا بحزم:

«لست هنا في صدد التكلم عن حالي.»

أجابتها جينيفر في صبر مستسلم:

«عظيم. قولي كل شيء، من يكون صاحب الموضوع، هذه المرة؟ مريضك الجديد. طلب مني والدي أن أراه. لأرفع من معنوياته. وكنت أمل لو أن في استطاعتك انتشالي فكرة حول اهتماماته. لأني لا أعرف عن أي شيء سأتحدثه.»

انتصبت جينيفر فجأة وصرخت:

«هل تلمحون إلى الكونت الفرنسي؟»

راحت فلورا تضحك:

«آه، أهكذا تسمينه؟»

قاطعت جينيفر السؤال وتابعت كلامها بسرعة:

«يا عزيزتي، لقد حاولت كل عرضات هذا القسم، أن تحدثنه لكنه شرس، غضوب، كئيب، رائع... كلنا لا نجد الصفة المناسبة! إن تصف العاملين هنا بكونهم، والبقية مغرمون به، لكننا جميعاً متفقتين على نقطة واحدة: انه رجل لا يطاق!»

شعرت فلورا بقلبها ينتفض إن كلام راشدها هيأها نوعاً ما لما ينتظرها. لكن ما قالته جينيفر، جعل الرجل في صورة أكثر خطورة مما كانت تتصوره. فقالت في صوت واضح يعتريه تأنيب ناعم:

«إنه أعمى، يا جينيفر»

اكفهرّ وجه صديقتها التي قالت:

«نعم، لكن معظم مرضى هذا القسم هم حيوان أيضاً، ولا يتمتعون بالامتيازات نفسها. إن لديه مناعماً خاصاً وكل اهتام وعناية سير فرانك هاملتون. ان هذا الرجل ولد مدلل يا فلورا. لقد فقد بصره، لكنه لا يعاني من أي عاهة اخرى. لديه قدرة قريبة على التنقل بالمقعد ودفعها في كبرياء. أرجوك، يا فلورا، لا تعترضي إلى كلامه البذيء. اتركيه إن لم تكن الخبرة الكافية والشاعة اللازمة ليتحملوه. لست جديرة بذلك.»

اصفرّ وجه فلورا ثم هزت رأسها.

«يجب عليّ أن أراه. لقد وعدت والدي بذلك في أي وقت تتحسن أن

أراه.»

رفعت جينيفر يديها في حركة يائسة.

«حسناً، ما دمت مقررة على ذلك، وأسفاه!»

وبسرعان ما هدأت حتدما رأت كتفي فلورا تهوران

«اسمعي يا فلورا، هل قمت بحزائك العادية في بقية الطرف؟»

أجابتها فلورا بالنفي.

«حسناً، عندما تنتهين من ذلك بحسن موعد الأكل. ويكون سير فرانك قد زار مريضه وانتهى، وسأحاول أن أدعه يبقى لوحده مدة هكذا، عندما تذهبين لرؤيته، يكون قد ستم من وجوده وحيداً. وعلى استعداد بالتالي لاستقبال أي زائر كان. ما رأيك؟»

«أي زائر كان... إني اشكرك.»

نهضت فلورا محتفظة بيديها وتوجهت نحو الباب. وطقطقت ضحكات جينيفر ترن في اذنيها وهي تسير في الممر في خطى سريعة. فرسمت على شفتيها ابتسامة سرعان ما زالت امام فكرة التجربة التي تنتظرها بعد أقل من ساعتين.

٢ ـ من انت ايها السيد؟

وعندما اقترب موعد الزيارة الرهيبة، لم تعرف فلورا ما إذا كانت خائفة أو راضية. وخلال كل فترة ما بعد الظهر، وبينما كانت تكرس وقتها للاهتمام بالمرضى، كانت عيناها تجتذب صوب النافذة المحجوبة بالستائر والتي وراءها الرجل الذي وعدت نفسها بزيارته. كانت أفكارها مشوشة الى درجة أنها لم تكن قادرة على التركيز على المهام الموكلة اليها. ومع ذلك تخلصت من هذه الورطة بنجاح.

راحت تسوي شعرها بفيضة يدها وشعرت بذعر مفاجيء، وبهدوء توجهت نحو باب الغرفة المعتمة. تصلبت استعداداً للمعركة. ثم طرقت الباب طرقة خفيفة.

سمعت صوتاً آمراً وعنيفاً:

«ادخل!»

ثلاث خطوات مترددة أوصلتها الى وسط الغرفة. وللحال نظرت نحو السرير ووجدته فارغاً. حوّلت نظرها نحو النافذة التي تطلّ على حدائق المستشفى، فرأت أمامها صورة رجل طويل القامة يرتدي مئزراً من الحرير الثقيل واللون الداكن. فلورا قبل أن يبدأ بالتبض بسرعة مؤلمة. وفي العمق انحفرت صورة الرجل في ذاكرتها. كان جذاباً بكل ما في الكلمة من معنى. ليس غريباً أن يتعجل قلب فلورا البريء في التصاقها الأول بهذا الرجل. إنه فارس يرتدي الملابس العصرية. كان وجهه أسمر، وقاله بارزة، وهذه علامة العناد والتصلب وكانت نظرته كمدة. وأنفه مستقيماً، راح يرتجف كأنه شعر بالقشعريرة الخفي. أو الخطل. لا ينقصه سوى أن يرتدي صديرية ذات لون فاتح، وقاراً منسوجاً، وأن يحمل سيفاً نحيلاً. انه يطلق، دون كيشوت زمانه. يعتبر فلمان العنم جبرتاً. والطواحين الهوائية جبابرة. كان يظهر عليه بوضوح أنه يعتبر أي شعور يبدو عن الصداقة تحريضاً وتحدّياً. وأن الشفقة والعناية والاهتمام ما هي إلاّ مجرد اهانة.

قال بصوت ناقد الصين:

«من أنت. وماذا تريدين؟»

شعرت فلورا بالرأفة لضلالها لدى تذكرها أنه انحنى وأجابت بصوت حزين:

«أنا، أنا فلورا ميتارد. إبنة القسيس. مالكوم ميتارد. الذي زارك امس. هل تتذكرني؟»

رفع رأسه متعالياً ومن غير أن يشيح وجهه عن النافذة، اجاب بالنفي.

«أتعني أنك ابنة هذا الشيخ الدنيء؟ لقد اعتقدت أني افهمته بصورة واضحة أن وجوده غير ضروري. واني اتساءل لماذا ارسل لي ابنته. ربما كان يريد منك أن ترافقيني في الخمائل، حتى استغني عن شكاوتي

البيضاء أو ربما... آه، نهيت! يمكنك أن تعطيني طريقة الرجل. طريقة في الكتابة خاصة بالعميان تستخدم حروفاً نافرة! لا شك أن هذه مهمة تليق بابنة كاهن».

سخر منها ما فيه الكفاية، وكان في امكانها أن تغفر له ولا تردّ بكلمة. لكن أن تسمعه يعامل والدها بهذه الطريقة، كان أكثر مما تحتمله. وبطريقة تلقائية، كما النمرة تحمي صغارها، راحت فوراً تهاجمه قائلة:

«إني أرى أن طريقتك في الشفقة على نفسك طريقة شنيعة وفظة، يا سيدي! إني لا استغرب من أنهم يتركونك لوحدك مع أفكارك المتحجرة وتعصبك الطفولي».

أيقظ انتقادها القاسي، في صمت رهيب لم يرد عليها، لكن [illegible]

[illegible]

رجلاً يمس الكلمة. لتصفعها على الفور، انتظرت قليلاً، وهي ترتجف، خجولة وخائفة حتى من الركض نحو الباب. احمرت وجنتاها وبسرعة ما بدت وجهها مظهراً عنيداً واستحياء. وفي الوقت الذي شعرت به أنها لم تعد تحتمل هذا التوتر المستمر، استدار نحوها وجهاً لوجه، وبلطف غير معقول، اعتذر منها قائلاً:

«أنت على حق، يا آنسة. لقد أصبحت ضجراً ولا أطاق. لست وحدك تفكرين بذلك. إني أفقد بسهولة ضبط النفس ولا أعرف ما هي الطريقة للتخلص من هذا الاحساس».

وتابع في لهجة عذبة:

«ولكن... هل يمكنك أن تساعديني...؟»

لا شك أنه لاحظ استغرابها المكبوت، فغيّر نبرة صوته متخلياً بعض السخرية لديه:

«حسناً، يا ابنة الكاهن، أين رأفتك واحساسك؟ أنت تعرفين جيداً، إنك بسبب والدك، لن تتجرئي أن ترفضي هذا الاحسان. ماذا يقول، لو عرف أن ابنته رفضت مساعدة رجل بائس؟»

ارتسمت صورة وجه والدها الكئيب القلق فجأة أمام عينيها، وبلغت الرفض التي كانت ستعطيه. لا شك أنه رجل ذكي، هذا الفرنسي! لأنه اكتشف، من دون أن يقع في الخطأ، الحجة التي يمكنها أن تؤثر بالفتاة لمساعدته. لذا رفضت طلبه، تكون بذلك قد آذت والدها أكثر [illegible] من [illegible]

[illegible]

ركز على صوتها وتكلم معها. يتوقف على بعد خطوة واحدة منها. نظره الذي لا يسمح لأحد أن يخترقه كان مصوباً نحوها، محدقاً بوجهها، كأنه يدقق في قسماته حتى أنها شعرت بالاحمرار يجتاح خديها. وعندما لاحظت الندبات البيضاء الصغيرة حول حاجبيه وعلى جبينه - دليل عملية جراحية حديثة - حينئذ أدركت باقتناع أنه لم يرها. فزاد احمرار وجهها، لكن من الخجل هذه المرة.

قال بصوت قلق:

«لماذا اخترتك أنت بالذات؟ منذ الحادث الذي تعرضت له، كنت أنت الانسانة الوحيدة التي تجرأت بكل صدق أن تبدي لي وجهها لوجه كل

www.liilas.com

عيوني وأخطائي! منذ سنتين حتى الآن والجميع يكذبون عليّ باستمرار لم أعد أطيق ذلك. لكن عندما سمعتك تكلميني بهذه الصراحة، شعرت كأن نسمة ربيعية منعشة اخترقتني، من خلال غيوم الشقة الخانقة والأساليب الثانهية لتهدئة الآلام وتسكينها. أنت الانسانة الوحيدة التي يمكنني أن أثق بها لتحول لي الحقيقة. ولهذا السبب لا أريد أن أخسرك. عليك اذاً أن تفعلي ما أطلبه منك. يا ابنة الشمس، وإلا سأرفض أن أدعهم يجرون لي عملية جراحية أخرى! ما هو رأيك على كل حال؟ هل توافقين؟»

قالت فلورا في صوت خفيض:

«أن أوافق على تهديدك! هل من اختيار آخر في مثل هذه الظروف؟»

هزّ كتفيه باستدار عاتباً الى النافذة. رفع رأسه سابحاً لأشعة الشمس بأن تداعب جرحه. يبدو أنه يحب الناعمة اللطيفة والساخنة على عينيه المغمضتين. لكنه يفهم جيداً أن الفتاة بانتظار جوابه وأدار به يرد عليها بلهجة متوترة:

«كلا ـ ليس لديك اختيار آخر»

فجأة، تعب من وجوده قال:

«والآن، اذهبي. أريد أن أرتاح. لكن عودي في الغد لتتناول طعام الغداء معاً.»

توثرت فلورا غضباً أمام هذا الموقف السريع، وخرجت من الغرفة، وتكلمت بصعوبة كلمة من خدم صفق الباب وراءها.

أظهر سير ڤرانك تعجبه وقرفه من التغيير الفاجيء الذي طرأ على مريضه، بعد أن كان قد أمضى السهرتين في رفقة فلورا. وانسحبت جنيفر بأن صديقتها حققت انتصاراً كبيراً. فبدأ الريض، بدلاً من

البقاء داخل غرفته معظم الوقت، بالقيام برحلات صغيرة في سيارة سير ڤرانك. يقودها السائق، ويقربه فلورا محل مكان عينيه. وبالكوم ميناره يتهيج مهللاً غير قادر على العثور على الكلمات اللازمة لافصاح نجاح ابنته. لكن والدة فلورا كانت على يقين بالجهود التي بذلتها ابنتها والتوتر الناتج عنه.

في أحد الأيام، كانت فلورا تستعد للقيام برحلة جديدة، حاولت جين ميناره ان تحادث ابنتها قائلة:

« فلورا، يا حبيبتي، يبدو عليك التعب والارهاق. لماذا لا ترتاحين اليوم؟ سأتصل هاتفياً بالمستشفى لأقول أنك غير قادرة على مرافقة الاستاذ ڤريفيل في نزهته.»

كانت فلورا ترتدي فستاناً من القطن الوردي اللون. فأجابتها بصوت واضح:

«لست متعبة أبداً، يا أمي. أرجوك لا تشغلي بالك. فأنا في تمام العافية. في أي حال إذا تغيبت عن الذهاب اليوم، لن يكون الآن مرتاحاً لذلك. انه يحب النزهات كثيراً. وكان مسروراً عندما أخبرته برجوده سيراً على مهل في حديقة قريبة جداً من هنا. ولا أريد أن أخيب أمله، أليس كذلك؟»

تنهدت السيدة ميناره وقالت:

«كل هذا جميل جداً، يا فلورا لكنني بدأت أقلق عليك. فأنت لا تتصنعين بالقوة نفسها التي كنت تبدين بها قبل تعرفك الى الآن ڤريفيل. وأنت فوق ذلك شاحبة. لا شك أن الآن شاب لطيف، لكنه فو سطوة. ومنذ أن تعرفت اليه، نادراً ما تخصصين لنفسك وقتاً خاصاً بك. هل أنت متأكدة بأنه لا يطلب منك الكثير؟»

استدارت فلورا وابية منها في اخفاء الدموع التي تتهمر على وجهها. من الأفضل أن تظل أمها ووالدها يعتبرانه رجلاً لطيفاً في كل حال انه كذلك تجاههما. لكنها هي وحدها تعرف الانهيار القوي الذي يصيبه عندما يكونان معاً. أصبحت هي سهم الأمان بالنسبة اليه. وكبش المحرقة. وأمام كل العاملين في المستشفى يبدو الآن مريضاً مثالياً هي وحدها التي تدكيه كل المحبات التي توظف فيه يأساً عنيفاً، اذ يرى أن راحته الوحيدة في أن يقسو جام غضبه على الآخرين. في البداية كانت ثورة الضربة بضربة اخرى. لكن هذا التصرف من جانبها كان يزيد من غيظه، مما يجعلها تتنازل عن مقاومتها والتحلي بالصمت حتى تنتهي الأزمة. لكن، أحياناً، كان يظهر لطفاً غريباً مما يجعلها غير قادرة على أن ترفض له أي طلب. اكتشفت فلورا أنها تحبه...

ما زالت والدتها تنتظر منها جواباً. التفت فلورا منها وركعت امامها

«يا أمي، قال لي سير فرانك إنه يأمل أن يجري العملية الجراحية لعيني الآن في الأسبوع المقبل. وبعدها لن يعود في حاجة الي. ومتى استعاد نظري، سيعود الى فرنسا وسيتساني بسرعة.»

انقبض قلبها انقباضة مؤلمة، لكنها اضطرت الى متابعة الحديث «بعد أسابيع قليلة، تعود الحياة الى مجراها الطبيعي. وسيتسنى لي الوقت لأرتاح. لكن، ما دام الآن في حاجة الي، علي أن أبقى معه. هل تفهمين؟»

ربتت والدتها على يدها وقالت:

«عظيم. لن أزيد كلمة واحدة. لكن تذكري أن سعادتك السيئة لي

ولوالدك. وانها موافقتان على كل شيء يؤمن سعادتك.»

تنهدت فلورا الى ذراعيها وقالت وهي تضحك:

«هل هناك من قرار يمكن أن آخذه، يؤثر على حياتي معكما؟»

اكتفت الوالدة بالابتسام ونهضت لتخرج من غرفة ابنتها. لكنها ظلت راكعة تفكر مطولاً بما قالته.

وصلت سيارة سير فرانك متأخرة. كان الآن في داخلها. ومن خلال نافذة غرفتها المفتوحة سمعت فلورا والدتها تصر عليه بالنزول ويقول له فلورا ستصل بعد لحظة. وأجاب الآن بلهجته الانكليزية الطيبة شيئاً لم تسمعه الفتاة. لأنها تناولت حقيبة يدها ونزلت مسرعة تريد أن تعرف ما اذا كان الآن في مزاج جيد أو أن عليها أن تتحمل ساعات طويلة من العذاب.

وما أن رأته حتى فهمت أن الزهرة ستكون ممتعة وحين سمعها تقترب منه ابتسم، وشعرت برغم نظارته السوداء بن أن لا قلق في عينيه.

سألها بفرح الصبي

«هل انت جاهزة؟»

«نعم، يا آلان.»

عند اليوم الأول الذي دعاها لتتناول طعام الغداء معه، أصر عليها أن تتخلى عن كل الأعراف والتشكليات. واحتاجت الى أكثر من اسبوع لتعتاد أن تناديه الآن بدلاً من السيد تريفيل.

«هيا بنا اذاً. لنسرع حتى لا تفوتنا الجولة الأولى.»

كان الطقس جميلاً ورائعاً لمثل هذا النوع من النزهات. والجو حاراً. لكن النسيم يلطع الحرارة من ان تكون لاهبة. اختاروا مكاناً هادئاً. لأن

أن لا يحب الازدحام. فقد طلب من السائق الذهاب والتسكع بوقته. وعد له وقت العودة.

لم تكن فلورا تعرف شيئاً عن سباق الخيل، لكنها كانت تعرف بواسطة غريزتها كل ما يجب. الآن، راحت تصف له بدقة كل ما حولها بصورة تفصيلية جعلته يحس، وعندما حان وقت الغداء، فتحت سلة الأكل فأكلا بشهية كل ما طاب ولذ. وبعدها لذ الآن على بطانية فرشت على العشيش وقال لها وهو يتنهد:

- رائع! شكراً، يا فلورا. عندما أعود الى وطني، عليك أن تزوريني، وسأذهب بدوري الى سباق الخيل هناك.

فز قلب فلورا بفرح. إنها للمرة الأولى يتحدث فيها عن رغبته في العودة الى بلده، أو يتكلم عن حياته الخاصة. كانت دائماً تشعر بحاجة الى أن تعرف شيئاً عن حياته الشخصية، لكنها كانت تخشى أن يوبخها، لكن في هذه المرة، قررت المخاطرة وسألته في ترقد:

- أين يقع منزلك، يا آلان؟

أجاب فجأة بعد أن طهرت قبعيدة صغيرة على جبينه:

- قرب مدينة غراس.

توقف برهة ثم أضاف:

- غراس هي مدينة فرنسية وكذلك المركز الأساسي لصناعة العطور. خلال كل فصول السنة تتفتح الأزهار النامية بكثرة على طول الشاطئ، التابع للبحر الأبيض المتوسط. مدينة كان مشهورة بالورد والأكاسيا والياسمين، ومدينة نيس مشهورة بالزهر واللاوند والأكاليل الجبلي، ومدينة نيس مشهورة بالبنفسج والخزام. لكن من بين كل هذه الأمكنة، غراس هي التي تتمتع بأكثر من شهرة، لأن هناك تنـ

كل أنواع الأزهار وحيث تتم صناعة العطور.

كانت فلورا تصغي بالتمان. ليس من العجب اذا أحب صناعة الشمس، هو الذي أمضى كل حياته في جنة كهذه.

«الأزهار تتمو طيلة أيام السنة!»

«طبعاً، من كانون الثاني - يناير حتى أذار - مارس، تجد أزهار النفسج، والنرجس والبنفسج! وفي نيسان - ابريل وأيار - مايو وحزيران - يونيو، تجد الورد وفي حزيران - يونيو أيضاً تجد الخزام والقرنفل والزنبق. وفي تموز - يوليو تجموعة مختلفة من الأزهار بما فيها اللاوند والياسمين والمسك. وفي آب - اغسطس وايلول - سبتمبر وتشرين الأول - اكتوبر، تجد النعناع والجوانيوم. وحتى في الشتاء ترى في كل مكان بحراً ذهبياً من المنثور الذي يعم المنطقة بعطره، على طول كيلومترات في جميع الجهات.»

قالت فلورا فجأة:

«كفى، لم يعد عقلي يستوعب أكثر! كم كنت سعيداً ومتفائلاً لرؤية هذا الجمال. لا شك أنك ترغب في أن ترى كل هذا من جديد!»

وما أن نطقت بهذا الكلام حتى عضت على لسانها. لكن الأوان كان قد فات. لكنه لم يقم الآن بأي حركة، لكنها غريزياً، شعرت بالقباض. نظرت اليه في قلق. لكنه لم يكن يعيى، أحاسيسه. كان جسده الطويل بكامله مرتاحاً. فجأة، لاحظت القباض محياه. فتحت فاه قائلة ووضعت يدها في يده، تعي تماماً مدى قلقه وقالت:

«سوف تستعيد نظرك، يا آلان، بإذن الله. أنا متأكدة من ذلك! لا تدع اليأس يشوّه حظك بالنجاح، من الضروري المحافظة على الاسترخاء وعلى روحك المعنوية. فسوف يقوم سير فرانك بالعملية الجراحية في

الأسبوع القبل».

أبعد بيها عنه بغضب واصطكت اسنانه الشعوذة وراح يقول:

«يا اغبي! لا تراعي خواطري يا فلورا! مالنا نهتم من كل هذه العمليات الجراحية؟ ألا يكفي أني تحملت ستة عمليات فاشلة؟»

ثم أضاف بسخرية كأنه يردد صوتاً آخر:

«لا تهالي. إن الذبابات حول عيني تخف مع الأيام. لا تهتمي الذبابات انها لا تنفع في شيء. كل ما اريده، هو أن ارى!»

انفجرت فلورا في البكاء. فهي غير قادرة أن تتصور ما يمكنه أن يفعل اذا عرف أن لا أمل في شفائه وانه سوف يبقى ضريراً طوال حياته.

كانت على وشك الانهيار. ظلت صامتة طوال الوقت. ومرة أخرى انطوى على نفسه. لا شيء تقوله يمكنه أن يخرجه من هذه الحالة الانطوائية. وراحت تتمايل كي تبرد الأبازانقبلة بسرعة جسدية، ما زالت ناقمة على المقاومة. لكن كم يبقى من الوقت أمام عقلها ليتحمل كل هذا العذاب الذي اختارت أن تعانيه من أجل مساعدة آدلن فريليش في الفشل امنيته العزيزة؟

٣ ـ عرض مفاجيء

انتهت العملية الجراحية. وقبل دقائق قليلة، وصلت جينيفير كالأعصار الى غرفة الانتظار لتقول لفلورا انهم في صدد اتصال آدلن الى غرفته وأن سير فرانك يرغب في التحدث اليها. كانت فلورا فريسة أحاسيس داخلية مزيجة. هل فشلت العملية؟ هل يريد سير فرانك منها أن تخلع آدلن بيديه على الخبر السيء؟

راحت تلوح لرض الغرفة بخطى واسعة ينخر قلبها القلق. وكانت الدقائق تمر وسير فرانك لم يظهر بعد. استمرت العملية ساعات عديدة. وخلال هذا الوقت كانت تنتظر أملة عودت المعجزة. أما الآن فكانت تريد رؤية آدلن والتأكد أنه لا يتألم.

انفتح الباب ودخل سير فرانك. وعلى وجهه ملامح متعبة.

«آنسة ميتارد، أتبكرك لانتظارك! أود أن أكلمك في شأن آدلن».

انتظر منها ان تجلس. فقرأت على وجهه للتعب علامات القلق. بداها مشدودتان على تورتها، تنتظر ما سيقوله.

وما ليت أن أعلن بحدة
تمت زراعة القرنية في العين اليسرى، وكنت أتوي، في الأيام القليلة أن أباشر العمل في العين اليسرى. لا شيء كنت تعرفين. وأنا الآن بعرف ذلك أيضاً. أن العملية ستتم على مرحلتين.»

هزت فلورا رأسها، ثم تابع سير فرانك كلامه:

«بعد أن أجريت العملية في العين اليمنى، فحصت اليسرى بدقة...»

ثم توقف عن الكلام وانفجست فلورا وسألته:

«ما...؟»

هوى في المقعد ثم قال:

«أخشى ألا يكون التشخيص مشجعاً...»

«هل تريد ان تقول أن الآن لن يستعيد نظره؟»

تردد وراح يبحث عن الكلمات التي تخفف الصدمة عليها:

«العين اليسرى متلفة، لكني كنت متأكداً أنها ليست متضررة بشكل يتعذر معه معالجتها. أما اليوم، فقد اكتشفت أنها ملتهبة قليلاً. وعلى أرجاء القصاص، على الالتهاب قبل الاستمرار في المعالجة. هذا يعني، تأخير المرحلة الثانية من العملية الجراحية. هذا السبب طلبت أن أحدثك، يا ابنتي العزيزة. لقد حللت أعجوبة مع الآلاف، في الأسابيع الماضية، وأريد أن أتأكد أنك ستطمئنين هنا ما دام هو في حاجة اليك، وأن تكوني في جانبه عندما أخبره كل هذه التفاصيل، وما ترين فعله.»

كان صوت الجراح يخترق الضباب ويرن في أذنيها رنة حزن وراحت تتصور حالها مكان الآن وتتساءل هل من العدل أن يتحمل عذاب سبع عمليات جراحية، ليصل في النهاية الى نتيجة سلبية كهذه؟ ألم يكن من الأفضل لو ترك بدون أي أمل، بدلاً من ان

يقرض عليه هذا التوتر المستمر بين الأمل واليأس؟ شعرت بالغضب والأسف وراحت تهاجم سير فرانك:

«لماذا لا تتخلى عن كل هذا؟ لماذا تظل تتقدم اليه الوعود، وانت تعرف أن لا شيء يمكن فعله في هذا الصدد؟»

أجابها في هدوء:

«هناك دائماً شيء يمكن فعله، يا ابنتي العزيزة. لو لم نكن نتمتع بهذا اليقين، نحن الاطباء، لما أجرينا أية عملية جراحية. خيبة الأمل هذه تؤسفني أنا أيضاً، وأرجوك أن تصدقيني. إنها فقط خيبة أمل. وأرجوك أن تساعدي أولاً على تصديق ذلك. بعد سنة، او ربما أقل، يمكنني أن انهي العملية، بنجاح. هذه المرة، لكني في حاجة اليك لتقنعي الآن بأن لا يستسلم الى اليأس. هل يمكنني الاتكال عليك؟»

«لن يصدقني. لا الآن ولا في أي يوم. أنا متأكدة من ذلك.»

شعرت فلورا بأن كلامها اقسى جاس فرانك، فضحكت ثم قال:

«لا أطلب من الله أن يساعده ويساعد خائفة والدته تعزّ عليّ كثيراً وكذلك كان والده، ولا شيء يرضيني سوى أن أتمكن من اعادة النظر اليه. لكن اذا كان ما تقولينه صحيحاً، فمن المستحيل أن أصل الى هدفي.»

دارت فلورا والدموع تترقرق في عينيها:

«سأفعل كل ما في وسعي لأقناعه. لكن، اذا رفض، أرجوك، ألا تشعر بأنك مسؤول عن هذا. في المستقبل، عندما يتغلب على خيبة أمله، ربما يقبل حينئذ أن يقوم بمحاولة جديدة.»

ربت على يدها وقال:

«أنت فتاة رائعة، يا فلورا. لم أعد أستغرب لماذا يشتد وجودك من

عزيزته. واني متأكد من أنك اذا بقيت قربه خلال الأشهر المقبلة، الصعبة، فسوف تنقذينه من هذه الورطة. أما اذا كان ذلك مستحيلاً، فلا يبقى لدينا سوى الأمل في أن يتغلب بنفسه على خيبة الأمل ويتوصل الى نتيجة حكيمة.»

قبل أن تعود الى منزلها سمح لفلورا بأن ترى آلان في غرفته. لقد أكد لها سير فرانك أنه ما زال تحت تأثير المخدر، ولن يستعيد وعيه الا بعد ساعات. وانه في حاجة الى عناية فائقة، وأن الزيارات ممنوعة عليه.

وما ان دخلت فلورا الغرفة المريض، حتى صوبت نظرها الى الوجه الراقد على الوسادة البيضاء. الضمادات تغطي عينيه والركائز تجعل رأسه جامداً. واليسرى الأولى كانت اصابع يده الطويلة الشديدة الحساسية، ممدة على السرير بدون حركة.

كانت فلورا موجودة في الغرفة، ذلك الصباح عندما قرر سير فرانك أن يخبر آلان عن نتيجة الأبحاث. حدث ذلك بعد أسبوع من العملية. لم يكن آلان في سريره، إنما كان جالساً في كرسي قرب النافذة. ومنزره الغامق يزيد من شحوبه. رغلاف جميع الضمائد، كان قد زاح البعض، وأشعة الشمس تسطع على شعره وتبدو له ملامحه القاسية بنورها العسلي. قام بحركة غاضبة عبّر فيها عن انزعاجه من استمرار وجود الضمادات على عينيه، وتنتجت فلورا لدى دخول سير فرانك الغرفة.

اقترب من آلان بخطى واسعة وقاطعه قائلاً:

«اعتقد، يا آلان، أن الوقت قد حان لمحادثة صغيرة.»

أحسّ آلان بحضوره مباشر وقال بصوت حاد:

«لا شأن لنا بالتحدث الآن، إذا كان ذلك يتعلق بهذه المسرحية الهزلية التي تمثلينها طيلة هذا الاسبوع.»

رد سير فرانك بلهجة معتدة:

«مسرحية هزلية؟»

لو تكن فلورا مستعدة عندما أجابه آلان بصوت بارد: «هل تعتبرني انساناً أبله؟ هل تعتقد أني لا أعرف التمييز بين النجاح والفشل. حتى ولو لم يكن في وسعي أن أرى الانتصارات الفنية المباشرة، فان لطفك الزائد والقلق في صوتك، يكفيان لتحذيري فضلاً عن محاولات فلورا المستمرة لمواساتي من دون اظهار ذلك. انها تعرف ايضاً، أن العملية الجراحية كانت فاشلة. فكلّ تعبير في صوتها، أعرفه تمام المعرفة. لقد فضحتها شفقتها العميقة التي تشعر بها تجاهي، في مئات المرات. ويخرق حتاً.»

إن حقد العنيف ويأسه المبت جعلا فلورا وسير فرانك يلزمان الصمت. وفي عينيها الملتهبتين بالدموع كانت فلورا تناجي سير فرانك بصمت. لكن هذا الاخير هز كتفيه معتذراً عن وعن عزيزته، لما يعلمها الحق بكلامها في حضرتها. وفي هذه المرة ايضاً، أظهر آلان حساسيته المرهفة اذ قال:

«لا تقلق في موقفك من أجل. لا أريد شفقتك! من الآن فصاعداً، سوف استسلم وأعيش حياة رجل أعمى، وأتعلّم لغة البريل، وانتقل مستعيناً بعكازة بيضاء. كما يجب عليّ أيضاً أن أتعلّم تقبّل الشفقة ومظاهر التعطف من الجميع. لكن ليس منك أنت، يا فلورا. أبداً يجب أن تظلّ صداقتك لجاهي، هل تفهمين؟ واذا اكتشفت مرة واحدة، أنك كذبت عليّ، فسيكون ذلك اليوم كارثة حقيقية عليّ.»

استعادت فلورا هدوءها وقالت:

«لا يمكنني أن أكتب عليك، يا آلان، ويجب أن تصدق كل ما سأقوله لك الآن. ما زال هناك حظ في إنقاذك. كان سير فرانك يحاول أن يطمئنك، إن في وسعه، بعد هذا شهور، إنهاء الرحلة الثانية من العملية بنجاح أكيد. عليه فقط معالجة التهاب بسيط قبل أن يستأنف برنامج عمله في الرحلة الثانية. وبعدها كل شيء سيتم كما يجب. أرجوك، يا آلان، أن تسمعني. اني أتوسل اليك».

وكان جوابه بأن رفع يده الى عينيه، شاتماً، وخلع عنهما الضمادات. ورماها أرضاً. ثم رفع رأسه في عزم رافضاً كل المخرج بعد خيبة الأمل القاسية.

«أرجوك، لا أريد الخوض في هذا الحديث بعد الآن. لا أريد أن أسمع شيئاً عن هذا الموضوع».

وخلال الأسابيع اللاحقة، لم يقم سير فرانك و فلورا أي اعتبار لرغبة آلان. بعدم السماح لأحد في استئناف الحديث حول مسألة مرضه. لكن آلان اصر على عناده وتصلبه، وبدأ يسترجع قواه تدريجياً. ومع اقتراب موعد رحيلهم، فهم سير فرانك و فلورا أن عليهما أن يتقبلا نشاطهما. غير أن فلورا كانت تشعر برجوع أمل خفي بأن آلان سيغير رأيه، حين يضع نفسه من جديد في بيئته الخاصة. لأنه سيشعر انه في حاجة لرؤية كل الاشياء التي اعتاد رؤيتها قبل الحادث، قبل يتحتل الاعتياد على حواسه الأخرى.

ولما سمح له سير فرانك باستئناف النزهات التي كان يقوم بها مع فلورا، عادت المسة الى مجراها الطبيعي، وكانت فلورا تمضي كل أوقات بعد الظهر برفقته، لكنها لم تجرأ على التحدث اليه عن

امكان إجراء عملية جراحية أخرى، خوفاً من أن يجرحها غضبه الذي يزداد مع تحسن صحته واستعادة قواه.

وخلال فترة النقاهة، أصبح آلان بالنسبة الى فلورا زائراً مداوماً وربما والداها يشعران تجاهه بمحبة عميقة، ومن جهته كان يبدو متحمساً برفقتهم. وخلال إحدى زياراته، وبينما كان جالساً في الحديقة برفقة فلورا، ينتظران معاً بعودة الطقس وعذوبة الضوء. فاجأها الآن سائلاً بلهجة عادية:

« فلورا، هل توافقين على الزواج مني؟»

كان ممتداً على كرسي طويل مريح، يمسح عوداً من الحشيش الأخضر لا شك أنه شعر باستغراب فلورا التي همست قائلة:

«ماذا.. ماذا قلت؟»

رفع رأسه في حركة منطفئة وريمى عود الحشيش وقال:

«أنا بحاجة اليك، يا فلورا. لا يمكنني العودة الى فرنسا من غيرك. أعديني، على الأقل، بالتفكير في الموضوع».

راح قلب فلورا ينبض بسرعة فائقة، حتى أنه خيل اليها أن كل اعضاء جسمها ترتجف. إنها تحبه كثيراً الى درجة أنها مستعدة لأن تضحي بحياتها من أجله. لكنه كان يظهر لا مبالاة عندما طلب منها أن تصبح زوجته. التحت فمها لتقول له إنها تحبه كثيراً، لكنه تابع حديثه بهدوء:

«سيكون زواجنا زواج مصلحة. لا أكثر ولا أقل. ان اطلب منك أكثر مما تقدمين الي الآن. وما تقدمته خلال الأسابيع الماضية. لقد أصبحت بصري الذي خسرته، وبفضلك أشعر وكأنني أرى من جديد. كما أني اعتقد، أنك انت أيضاً، سوف تحققين مكسباً من هذا الزواج».

ولما هدأت ثوران كرامتها، شعرت بسعادة مخبولة و بائسة لم يكن في وسعه رؤية مدى تأثير كلامه عليها. هذا العرض الجاف والبارد للزواج منها كان، بالنسبة الى فلورا، أقصى العذاب الذي يمكنها أن تتحمله حتى الآن. ووجدت عزاءها الوحيد بأنها متأكدة تماماً من أنه يجهل حقيقة عواطفها. لم يتحرك. الليل رأسه منحنياً، كأنه يصغي، أو يحاول إدراك رداً تعنها، وهي ظلت جامدة تنتظر هدوء ثورة أفكارها وحتى تستعيد السيطرة على نفسها.

سألها فجأة:

«هل ما زلت هناك؟»

كانت كلماته تنم عن خاجته الملحة اليها. وأرادت فلورا لطبيعتها المتسامحة أن تنسى ما ينطوي عليه عرضه القاسي، لتحتفظ فقط بندائه اللاواعي وطلبه مساعدتها. فأجابت وهي تحاول أن تتحدث في صوت هادئ:

«نعم، أنا ما زلت هنا.»

استرخى وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة لم تدل.

«هذا أفضل. كنت أخشى ألا تكوني سمعت ما قلت. إذاً، ما هو جوابك يا فلورا؟ هل تقبلين بالزواج مني والعودة معي الى فرنسا؟»

أجابت في صوت خليض جداً:

«نعم.»

كبرت ابتسامته وقال وفي صوته بعض السخرية:

«شكراً. لقد كنت أتصور أن هذه الفكرة ستروقك.»

قامت فلورا بجهد كبير للمحافظة على برودة أعصابها، وتتذكر مدى حزنه ووحدته وحتى خوفه العميق الذي لا يريد اظهاره. منذ

سنتين وهو يعيش أملاً في أن يستعيد بصره. والآن، مات الأمل في داخله. ولكي يجابه المستقبل، فهو في حاجة الى مرشدة. الى أحد يفهم حاجاته ولا يتطلب منه أي عاطفة أو شعور ما. تذكرت فلورا كلمات سير فرانك: «اني متأكد من أنك اذا بقيت معه خلال الأشهر المقبلة الصعبة، فسوف تقتدينه من هذه المحنة.» ربما ما تفعله تضحية كبرى، وربما يكون ذلك جنوناً تتحمل وحدها نتائجه. لكنه طلب منها مساعدته وهبها كبر ان حد أنها عاجزة عن رفض ما طلبه منها.

رفع حاجبه في سخرية وسأل في صوت فاتر:

«تعجبك اذاً فكرة أن تصبحي كونتيسة؟»

التفتت نحوه في استغراب، لكنها تذكرت أنه لن يراها وتلعثمت وهي تقول:

«أكون.. كونتيسة؟»

قال وهو يضحك في اشمئزاز:

«هذا هو. هل تريدين الادعاء أنك مجهلين جداً. أنك سوف تصبحين كونتيسة بزواجك مني؟ ستأخذ واقعي لقب الكونتيسة بالتقاعد. ولا شك أنها ستكون سعيدة ومرتاحة لنقل البناء العبء، كله. وحسب ما أتذكر، قالت مرة إنها متعبة من مسؤولية تنظيم جميع الأمور في القصر. ولا شك أن إعفاءك سيجعلها تتمتع ببعض الراحة.»

شعرت فلورا بما يشبه اطلاع يجتاح كيانها. قالت:

«لست أفهم شيئاً. أتريد أن تقول أنك أنت الكونت الآن تريقبل وأنك لقد قصراً؟ اذا كان الأمر كذلك، فلا يمكنني قبول عرضك.. إن فكرة أن أصبح كونتيسة ترعبني! أرجوك، قل إن كلامك مزحة..»

أجابها في حدة وكبرياء:

«كلا. لست أمزح. إن لقبنا من أقدم الألقاب في فرنسا و قصر الزهور بناه أسلافي في القرن الثاني عشر.»

تنهدت فلورا مرتعبة:

«لكن ذلك لم يقل لي ذلك من قبل.»

سكت قليلاً قبل أن يجيب:

«كنت اعتقد أنك تعرفين جيداً من أنا. لو يكن ذلك سراً والجميع في المستشفى يعرفون من أكون. وبعض الممرضات كن يتجرأن بوقاحة و يناديني الكونت الذي لا يطاق.»

تذكرت فلورا أنها سمعت من جينيفر تعبيراً بهذا المعنى. وفي ذلك الوقت اعتقدت أنهم للتنويه بالكونت بسبب تصرفه الوقح والمتعجرف. ولم تعرف أبداً الآن بالذات أنه حقيقة كونت، بما في الكلمة من معنى.

عاد الآن يقول بلهجة معتبرة:

«إن والدك على علم بذلك، هو أيضاً. لقد أخبرته أني الكونت تريفيل، وذلك منذ أيام قليلة، عندما قررت أن اطلب يدك. كان يجب أن أبدو أمام عائلتك أنني قادر على الاهتمام بك كما يجب.»

«لقد الآن.»

لم تستطع أن تمنع من الابتسام أمام التعبير اللطيف. إن والدها لا يعلق أهمية على الفوائد المادية. وما يهمه أن يعرف هي هوية الرجل الذي يرغب في الزواج من ابنته. هل هو يحبها، أم لا.

عرف الآن، الذي يتمتع بموهبة غريبة في إدراك ما تشعر به فلورا تماماً، إن الفتاة في حيرة. فقرر أن يغير الموضوع فقال:

«كفانا كلاماً في هذا الموضوع. لقد قبلت العرض ولن أدعك تغيرين

رأيك. يجب أن نعلم والديك بهذا القران. ثم نهتم بالاجراءات اللازمة لهذا الزواج. أني اصر على الاحتفال به هنا، في الكنترا. وهكذا يمكنني أن أقدمك الى قصر الزهور على أنك زوجتي. الكونتيسة تريفيل المستقبلية.»

شعرت فلورا بالشكوك تستبد في داخلها. وفي الزجاج عينين رأته يرسم ابتسامة غير مهيأة، ابتسامة رجل اكتشف طريقة ليصفي حساباته القديمة. لقد وجدت قليلاً من الارتياح لدى طلبه الزواج منها لأنه في حاجة إليها وأنها تتساءل الآن، من سيكون ضحية الانتقام الذي يهيئه الآن. في قصر الزهور شعرت بنفسها يتجلد لمجرد التفكير أنه يستعملها كسلاح ليفقأ مآويه. إنها تحبه، وسواء شاءت أم أبت، فهي ستظل تحبه، لكن هنا لا يمنعها من رؤية أخطائه بوضوح. إنه انسان قاس، حاقد، متقطرس، لا يشعر بأي انفعال. انه كل هذا، وهذا السبب بالذات لبيك عرضه. الآن، الكونت تريفيل، يركض وراء خسارته وهي تعرف أنها لن تتخلى عنه ما دام هناك حظ لمساعدته على النقاء واستعادة بصره!

٤ ـ ضحية الانتقام

بعد مرور ثلاثة اسابيع، تم زواج فلورا وألان في الكنيسة الصغيرة التي هيئت طقوس فلورا واحتجت فيها بعد تجوز بها إكليل الثوب الأبيض الطويل، وباقة الزهور الفيحاء وبعد عقد قران [illegible] وتحمل بين يديها كتاب [illegible] غاية متناسقة، وتحمل بين يديها كتاب [illegible] لتخلف بالعاج. لكنها لاحظت أن الكنيسة كانت مزينة بمختلف أنواع الزهور العطرة ذات الألوان الزاهية، تتبع على الأثاث المصنوع من خشب الجوز الداكن البنيت وهي تعرف جيداً أن والدتها هي التي قامت بتزيين الكنيسة إنها مبادرة تؤدي هذا قرار. ألان القاطع بالامتناع من إقامة عرس احتفالي.

كانت فلورا شاكرة لوالديها لطفهما وجهدهما في اخفاء تلقيها العميق لحداد مستقبل ابنتهما الوحيدة.

لم تكن تحدث أي صوت وهي تتحدث مأدبة فراح سير فرانك،

لكنها رأت ألان يرفع رأسه كأنه سمعها تقترب، وبالفعل نحوها كان يبدو مرتاحاً في الظاهر، مدّ يده وشبكها بيده. أي انسان، لا بدّ أن يدهش امام رؤية تصرفات ألان الواثقة. لكن فلورا رأت أريعاشة خفية في رؤايا تجعلها تدل على أنه يحاول كبت غضب. فلم تدع لتخيلها حزن الاحتفال والدخ المألوف في مثل هذه المناسبات، من أجل اعطائه من هذه اللحظة الطويلة.

كان الاحتفال بسيطاً وقصيراً. ثم ذهب الجميع الى القاعة الملحقة بالكنيسة لتناول الغداء. جينيفر التي كانت شاهدة زواجها، مع سير فرانك. كانت الانسانة الوحيدة التي أعربت عن فرحها وساعدت ثرثرتها على إضفاء جو البهجة على الاحتفال. وبرغم توتره، إلا أن ألان لطفه أمام الحاضرين. لكن عندما حان الوقت للذهاب [illegible] المطار، تراجع [illegible] السيارة [illegible] وقبلها [illegible] تحت نظرهم [illegible] بالقبلة [illegible] إلى [illegible] أن كل [illegible] انتهى، لم أعد قادراً على الصبر دقيقة واحدة أخرى».

لم ترد فلورا إنها وحدها للمرة الأولى مع الرجل الذي وهبت، منذ ساعات قليلة، بأن تحبه، وتحترمه وتتبعه فجأة أصبحت بالذعر. حبها الذهني الخليل كان بداية سلسلة ترتبطها به مدى الحياة. كانت ترغب أن تسمعه من أصبعها وترميه من نافذة السيارة!

لا بدّ أن الآن تشعر بعصبيتها وحالتها النفسية. فراح يحدثها في هدوء، وبقول يخطف.

مقرباً تصريح في طريقنا الى فرنسا. انني متأكد من أن الرحلة ستعجبك. هل قلت لك إن هناك طائرة خاصة تحت تصرفنا.

www.liilas.com

لم تتمكن من النطق. فاكتفت بهز كتفيها فتابع آلان حديثه:

«عندما اتصلت بوالدتي هاتفياً لأعلمها أنني سوف أسافر عندما تتوفر لنا أماكن في الرحلات العادية، أطلعتني على عرض قدمه جيراني بأن يضعوا طائرتهم الخاصة تحت تصرفي.»

قالت فلورا في صوت خفيض:

«لجيرانك طائرة خاصة؟»

«نعم. إنهم أصحاب مصانع كبيرى. يملكون قصراً قرب قصرنا، يقطنونه أشهراً قليلة خلال السنة كلها. وقد بنوا مدرجاً وشروا طائرة، وهكذا يمكنهم السفر متى أرادوا وبالسرعة المرجوّة. لكن السيد نيسبيت يستعمل الطائرة من أجل القيام بأعماله العديدة. وهذا يعني، أن امتلاكهم للطائرة، ليس ترفاً كما ظننت.»

تنهدت فلورا:

«آه. أي فهم الآن. إنها تلائمهم وتريحهم.»

اعتبر آلان أن جوابها ساخر، فعاد الى حمدته واستعاد نظرته الداكنة ولم يقم بأي جهد ليسترد عنها من جديد.

وبعد ساعتين، خرجت فلورا للمرة الأولى ما يمكن أن تعتبره كلمة ترف. ساعدها سائق سيارة فرانك لانجلز الاجراءات، ثم عهد بها الى لنطان الطائرة، وهو شاب فرنسي، فراح يدلها على الطريق التي تأخذها الى المدرج حيث رأت فلورا طائرة، عصابية اللون، ذات شكل متناسق، وراحت تتساءل كيف يمكن هذه الطائرة انسان واحد. وقامت مضيفة بمساعدة آلان على تسلق سلم الطائرة وأدخلتها بعد ذلك الى غرفة فاخرة وواسعة، تسع ثمانية أشخاص، مقاعدها من الجلد اللين، وفي الأرض سجادة عنابية سميكة. وبعد أن أطلق زفارة ارتياح، سقط

أرض في ملعب وأمر المضيفة:

«عندما تقلع الطائرة، احضري لي شيئاً أشربه.»

«بكل تأكيد، يا سيدي. وهل ترغب السيدة في شيء» هي (بخبث).

السيدة؟ الصدمة أفقدت فلورا النطق. ولأول مرة فهمت أنها دخلت الى حياة آلان بصورة نهائية. كانت المضيفة تنتظر بصبر، لكن صوت آلان انتزع المرأة من حلم اليقظة وسألها طالباً منها جواباً سريعاً:

«فلورا؟ أين أنت؟ لماذا لا ترفين؟»

«أني هنا بقربك، يا آلان. كما سأظل دائماً.»

وراء النظارات السوداء، تصعب قراءة ما في عينيه، لكن عندما استرخى في مقعده، رأت فلورا ابتسامة بطيئة ترتسم على شفتيه.

وبدورها استرخت، وملأ مكان القلق الذي يعتريها نوع من الارتياح. إنها سفرتها الأولى واطلالتها الأولى على عالم جديد يبدو مليئاً بالوعود المدهشة والساحرة. وخلال الرحلة كانت تحدق من خلال نافذة الطائرة. وشاهدت شيئاً فشيئاً اختفاء الساحل الانكليزي، الى أن حلقت الطائرة بين سماء جامدة وبحر هائج، لكن للأسف، بينما كانت تنتظر بفارغ صبر اكتشاف فرنسا، تكاثفت الغيوم أمام عينيها، وغفا طويلة لم تكن قادرة على رؤية المنظر المعروض تحت أجنحة الطائرة.

وعندما جاءت المضيفة لتقدم لها الطعام الخفيف، قالت فلورا: إن الطائرة تحلق الآن فوق ساحل البحر الأبيض المتوسط وقالت لها بأن الغيوم ستختفي عما قليل وسيكون في وسعها اكتشاف أجمل مناظر المنطقة. لكن فلورا لا يتدخل في الحديث. كما رفض أن يمد يده الى الطعام واكتفى بأخذ كأس القهوة. وبدأ يتوتر شيئاً فشيئاً مع مرور

الوقت. أخيراً، عندما أعلن الطيار قائلاً:

«نستعد للهبوط سيدي الكونت.»

شدت قبضة يده على الفنجان في لهفة جعلته يتحطم في يده.

«الآن، هل جرحت؟»

انحنت فلورا تبحث عن كتب ماما حلّ بيده. لكنه ترك حطام الزجاج يتناثر ثم وضع يده المشجوجة داخل جيب سترته. وقال بلهجة آمرة:

«لا شيء.»

كان وجهه خالياً من أي لون والعرق يتصبب على جبينه.

«أرجوك، لا تتصرّفي في تكلّف.»

لم يتسن لها الوقت للدهشة، إذ وصلت المضيفة لتتأكد من وضع أحزمة الأمان. لكن قلب فلورا هبط بسرعة مع هبوط الطائرة التي ستعيدهم الى الأرض من جديد.

كانت على وشك الانهيار فلم تفعه الى حديقة البناء الأثيل حيث هبطت الطائرة. لكنها شاهدته من بعيد وقالت لنفسها إن مالكي هذا المكان أشخاص محظوظون وأثرياء. ثم جلست مع آلان في المقعد الخلفي لسيارة الليموزين الفخمة. وكانت السيارة تسير بسرعة كبيرة من خلال المناظر الجلابة التي لم تر مثلها من قبل إلاّ على شاشة السينما الى يمينها، وبعيداً تنتصب الجبال الغطاة بالثلوج، والى يسارها البحر الأزرق. وكانت الطريق تتعرج بين التلال المزروعة صعتراً ورزالاً ومرقرشاً وأكليل الزهر. منازل صغيرة مخيفة حتى سقفها داخل غابات الصنوبر، ومجاري الماء الضيقة تسيل في أحياء البروليان ومجموعة عطور تتشابك متناسقة لتؤلف أرجاءً لا يمكن أن يصنعه احد.

إنها بحق كالجنة. لا في الكلمة من معنى. وكانت السيارة تمر من وقت الى آخر أمام فيلّات جميلة مبنية في وسط الحدائق الرائعة حيث أشجار النخيل والزهور الغريبة. وفي كل مكان أشجار السرو والتربنتين، تنتصب عالية كأنها تلتصق بالسما.

كانت فلورا ترتعب في أن تصرخ بإعجاب أمام كل منظر جديد. لكن آلان كان يبدو كئيباً، متوتراً، مما أثبط من عزيمتها وحيويتها. ظلّت ساكتة، مكبوتة اليدين، تحتفظ لنفسها بتأثير المناظر الساحرة عليها.

وما ان خلّت سرعة السيارة لتدخل بين جدارين من الحجارة النظيفة المشكلة بقضبان الحديد، حتى عادت فلورا الى الواقع في عنف جعل قلبها يقفز من مكانه. هل هذا حقاً منزل آلان. البناء الضخم الذي يتراءى لها من بعيد يوحي بأنه قلعة. ومع مرور الزمن، اكتسبت أسواره لوناً عسلياً. لكنه لم يفقد شيئاً من عظمته. القسم المتوسط المستطيل، يلتصق بالزوايا الأربع لأبراج متصلة. وإن تستغرب فلورا إذا رأت الحراس في بذلاتهم الرسمية يقدمون احترامهم. وإذا سمعت طلقات المدفع تحيي وصولها. ولما اقتربت السيارة راحت فلورا تميز مجموعة من الناس منتصبين في الساحة المتوسطة وعلى بعد بضعة امتار حاجزان من الرجال يحملون أنواعاً. وما أن ظهرت السيارة، حتى أعطيت الاشارة، وإذا بالرجال يطرقون لها جذلين على شرف الكونت وزوجته الثانية. كل هذا الاحتفال كان كبيراً وتقليدياً لدرجة أن فلورا اعتقدت أنها انتقلت الى القرن الثاني عشر. لم تعد تستغرب تصرفات آلان. إن تعجرفه اللاواعي ليس ناتجاً عن غرور، إنما هو نتيجة طبيعية لتربيته.

أصوات الأبواق جعلت الآن ينتصب. راح يشدّ على قبّعته ويحاول استعادة برودة أعصابه أمام الجرية التي تنتظره. منذ سنتين وهو غائب عن القصر. كل هذا الوقت أمضاه في المستشفى وكان يصرّ على عدم العودة قبل استعادة بصره. لكنه قرر أخيراً التخلّ عن امنيته وكبريائه. كان قلب فلورا يترف شفقة عليه، لكنها رفضت أن تظهر انفعالها، لأنها لم تنس الاهانة التي تعرّضت لها في الماضي. لذلك كبتت قلقها وقالت بهدوء:

«ما هذا الاستقبال، يا آلان. انه شرف عظيم أن ينتظر صولتك هذا الجمع الغفير من الناس.»

لاحظت مجموعة صغيرة تقف على درج مدخل القصر.

«أعتقد أني أرى والدتك. تبدو نافدة الصبر ومتلهفة.»

«ومن معها.»

طرح السؤال في صوت مبحوح. فضّلت فلورا جيداً في هذه المجموعة الصغيرة. وقرب شيخ المرأة الستة النحيلة، وقف رجل يصغر آلان بسنوات قليلة، وفتاة شابة. كانت فلورا على وشك أن تصفهم لزوجها، عندما خلفت السيارة سرعتها وتوقفت. قفز السائق من مقعده ليساعدها على النزول.

صرخة كبيرة تحرّر عن الفرحة خرجت من الحضور. وفي احترام وضعت فلورا يدها تحت ابط آلان لتساعده في الدخول الى المنزل. وفرحت لقبوله مساعدتها من غير أن يكفهرّ وجهه أو يغضب حاجبه. وللمرّة الأولى، فضّل تدخلها بدلاً من الثورة السخرية اذا تعثرت قدمه أمام هذا الجمهور الغفير.

والتفع الموجودون نحوه. النساء والفتيات، معظمهن يرتدين الثياب

السوداء والمناديل اتقاء حرارة الشمس. الأولاد ذوو البشرة السمراء يمكون بأيدي آبائهم. العجائز يخلعون قبعاتهم احتراماً للكونت الشاب الذي، لا شك أن الجميع يحبونه.

وتألقت ملامح آلان بابتسامة عفوية حقيقية شاهدتها فلورا للمرّة الأولى. كان يرد على كل صوت بأسم الشخص الذي يناديه، كأنه يرى ويعرف كل واحد بمفرده. احدث بين الجميع امرأة مسنة حتى وصلت الى المقدمة وانقا بها تتمسك به وهو مارٌ بقربها. كانت الدموع تنهمر بغزارة على وجهها الأسمر المتجعد وصرخت تقول:

«آه، يا ولدي. آلان المسكين.»

كانت فلورا تفهم بصعوبة ما تقوله هذه العجوز. لكن لم يكن هناك مجال للشك في العاطفة التي كانت تعبّر عنها. وخوّفت فلورا من ردّة الفعل التي يمكن أن تصدر عن آلان. حيال هذا. لكنه مدّ يده باحثاً عن يد المرأة العجوز ولمّا شدّ عليها، أجاب بلطف:

«شكراً، يا عجوزتي فيكتوريا، شكراً لتعاطفك وحبك.»

وما لبث ان حرّر من قبضتها وأكمل سيره.

ولمّا وصلا الى مقربة من عائلة آلان، كانت فلورا تحبس دموعها، وتحسن حظها، وقبل أن تلفت انتباه زوجها أن عليه تسلّق السلالم، نزل الشاب الذي كان يقف قرب الكونتيسة الأم السلالم مسرعاً.

«أهلاً وسهلاً، يا آلان. لقد طال غيابك.»

وتأبط ذراع آلان ليساعده على تسلّق الأدراج.

وما ان سمع آلان صوت الرجل حتى غابت الابتسامة عن شفتيه وأجابه بلهجة تدل عن حقيقة عواطفه تجاهه.

«الثأر لا يجب عودة الغزل يا لوريس. إلاّ اذا اعتقدت أن ذكائي ذهب مع نظري!»

«أهكذا، يا الآن. ترد على تحية ابن عمك؟»

انحنى الرجل امام فلورا، ولاحظ عينيها الكبيرتين وتجعيدة فمها الخريفة. وبعد تنظيب حاجبه، هز كتفيه وابتلع خيبة أمله وقال مبتهجاً:

«ليتو زوجتك تحت تأثير الصدمة. أرجوك يا الآن أن تطمئنها. قل لها إني لست انساناً سيئاً كما ستعتقد عندما سمعت كلاماتك»

قام الآن بتقديم نسيبه في فجة بقلب عليها الاحتلال:

«فلورا، أقدم اليك ابن عمي لوريس. اذا كنت انسانة عاقلة، فلا تكدرني بما يمكن أن يتولد. لا شك في أنه رجل مسالم. لكنه لن يتردد في إشاعة وفتك واعتداء الكلاب ليبرر تصرفاته.

ألقت فلورا نظرة متعاطفة نحو لوريس، لكنها أدارت رأسها بعد تحية متشنجة، لأ إنها شعرت بالحرج أمام ابتسامته الوقحة. وشعرت بالارتياح عندما وصلا أمام والدة الآن. كانت عادة تتبع بنظرها كل خطوة من خطوات ابنها كأنها تتبعه بسكوتها الآ ينتظر قبل وصوله اليها. وكانت فلورا مقتنعة بأن والدته على وشك التخلي عن وقارها والاندفاع أمامه ومعانقته، لولا وجود المشاهدين العديدين. لكن، في مثل هذه المناسبة، كانت تكبت اندفاعها الغريزي وتتصرف كما يجب أن تتصرفه الكونتيسة الأم.

وشعرت فلورا بموجة لدى تفكيرها بأن الجميع ينتظرون منها هي مثل هذا التصرف الارستقراطي. فهي تعرف أنها غير قادرة على تحمّل عبء هذا الثقل.

«ولدي الحبيب»

منذ الآن فراغبه نحو والدته التي اقتربت منه. ولعانقا طو يلاً ثم أبعدها عنه واستدار نحو فلورا، التي اسرعت تضع يدها الباردة في يده.

قال الآن ببساطة:

«أمي، لا شك أنك مشتاقة لتتعرف الى زوجة ابنك. فلورا، هذه امي. أمل ان تحبّها بقدر ما أحبها أنا.»

كانت لحظة حارّة ومؤثرة. وبرغم اضطرابها، تنبهت فلورا للرقة الناعمة التي أطلقتها الفتاة التي كانت في انتظار عودة الآن. ورأت انه هو أيضاً سمعها، اذ انقبض فجأة واستدار.

وهنا لم تعد فلورا تتذكر ماذا قالته لوالدة زوجها، ولا حتى ما وقت به حماتها. كانت تعرف أنهم استقبلوها بحرارة وحنين وكآبة. وتبيّن لها أنه من السهل عليها أن تحب هذه الكونتيسة المسنة، لكن ذهنها كان منهمكاً بتفاصيل اللقاء بين الآن والفتاة التي أحدث وجودها تأثيراً كبيراً عليه. كانت الفتاة تتمتع بجمال فاتن، سمراء داكنة. شفتاها مليئتان وناعمتان كالمخمل. كانت قامتها قصيرة وترتدي فستاناً أنيقاً أبيض اللون. ولا شك أنها اشترته من دور الازياء الرفيعة في باريس. كانت تتفرّس في وجه الآن، بدون اخفاء ذعرها وغضبها أمام خبر زواجه الفاجيء. فما دام الصمت وقتاً طويلاً فظنه الآن قاتلاً.

«انت سولانج؟»

تشنجت فلورا وهي ترى في صوت الآن بعض القسوة وتابع يقول في المزاح يشوبه الكدر:

« سولانج، أحب أن أقدم اليك زوجتي.. الكونتيسة تريفيل الجديدة»

إنها اللحظة التي كان آلان ينتظرها لأسباب تجهلها. كانت الفتاة الجميلة هي الضحية التي سيسقط فريسة انتقامه.

٥ ـ حادثة في قصر الزهور

كانت فلورا تتأمل بإعجاب خزانة الثياب الضخمة التي تحتل جدار الغرفة بكاملها. فقد عادت آخر فستان لها، وكانت تبعد الفساتين عن بعضها ومع ذلك ظل الفراغ واسعاً يزيد من فقر جهازها. أغلقت الباب وهي تهز كتفيها، مقررة أن تبعد عنها كل الأفكار التي تضايقها. أمنيتها البسيط وعدم قدرتها على الظهور في مستوى العظمة التي تحيط بها، ابتداء من اليوم، حول عائلة آلان، ووالدته الحارة والودية والأرستقراطية، وابن عمه الجذاب وأخيراً صديقته، سولانج شيسنيه، التي قامت بجهد كبير لتخفي نعمتها، والتي كانت عيناها الغامضتان تكذبان الكلمات اللطيفة التي اضطرت أن تنطق بها رغماً عنها.

ومن جراء تفكيرها بكل هؤلاء الأشخاص شعرت برعشة تخترق جسمها. الجميع سيتناولون طعام العشاء معاً، وعندما اقترحت الكونتيسة الأم على فلورا أن تأخذ قليلاً من الراحة قبل العشاء،

استقبلت الفتاة الفكرة بفرح. لكنها شعرت بأن عقلها لم يتوقف عن التفكير وهذا لن يساعدها على الاستمتاع بالراحة المرجوة. فأدارت نظرها عن الأثاث الفخم، واقتربت من النافذة وحاولت استعادة توازنها، وراحت تتأمل الطبيعة. لكن، في الخارج كما في الداخل، كان الترف نفسه. لما جعلها تحن الى منزلها العائلي وطرازه الريفي الانكليزي. كانت على وشك البكاء، عندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب. وبسرعة، وضعت يدها على عينيها قبل أن تجيب:

«ادخل!»

كانت تنتظر أن ترى إحدى الخادمات، لكنها برغت عندما انفتح الباب وظهرت والدة آلان.

«كونتيسة! لم أكن اتصور أن يكون الطارق انت...»

اعتراها وجه فلورا مثل تلميذة ارتكبت ذنباً ثم نابعت كلامها وهي تقدم لها كرسياً.

«اجلوك. أن تجلسي.»

وفي ابتسامة أليفة، جلست الكونتيسة. كانت ترتدي فستاناً رمادياً فخماً، يشع الماس من عنقها ومن خواتمها العديدة. كانت تجسد الترف الذي يجعل فلورا تشعر بحقارة النقص ويريد من توتر أعصابها.

قالت الكونتيسة بلطف:

«اجلسي يا ابنتي. يجب أن نتحدث، أنت وأنا. إني ادرك بوضوح التوتر الذي تعانينه وتتحملينه. ولأني عرفت أن ذلك يمنعك من الاسترخاء والاخلاد الى الراحة، فكرت بأن اغتنم هذه الفرصة لأتحدث اليك. هل هذا يزعجك، يا ابنتي...هل تفضلين أن اذهب واتركك وحدك...»

أجابت فلورا في حماسة:

«آه، لا، بالعكس. أهلاً وسهلاً بك، يا كونتيسة!»

انحنت المرأة العجوز ورنت على يدها وقالت في ودة:

«اذاً في البداية، لنتفق على الطريقة التي ستنادينني بها...يا ابنتي العزيزة، أحب ان تنادينني أمي كما يفعل آلان. ارجو أن تعجبك هذه الفكرة...»

فوجئت فلورا واتسعت حدقتا عينيها. هذه المرأة العجوز الأرستقراطية تحثني أن بساء استقبالك. وهذا ما تحتاجه كل حالة: ازالت فلورا من مقعدها وركعت امام الكونتيسة. كانت تبتلع دموعها رفعت عينيها وقالت ببساطة:

«هذا لطف منك، يا امي، أن تنبحي لي هذا الشرف الكبير.»

وللحظة كانت الكونتيسة على وشك الاستسلام لأنفعالها، لكنّ سنوات التدريب المنظم ساعدتها، فشدّت على شفتيها المرجفتين وقالت في صوت خال من المرأة:

«هل تعرفين أني اتوقع أحياناً سعيدة مع وصولك الى هنا كزوجة لآلان... مثلاً، ألم تلاحظي أن اسمك مناسب جداً...»

قالت فلورا مبتسمة

«لأني ادعى فلورا أي زهرة، ونحن في فصل الزهور! نعم إنها حقاً صدفة غريبة.»

وأكملت الكونتيسة وهي مرتاحة البدين:

«وفوق ذلك، واليوم، مضى على حادث آلان سنتان بالضبط ولا شك أن عودته كانت مثيرة لو لم تكوني بقربه وتخفي عنه كل هذا الأسى.»

اختفت ابتسامة فلورا. كان آلان في الحقيقة وحيداً. وكانت

تتعذب إذ اكتشفت أنه نادراً ما يبوح لها بأسراره. لا شك أنه يرغب في كتم كل الحوادث الماضية. ومع ذلك، فعليها أن ترد على بعض الأسئلة وإلاّ تعتبرها العائلة وأصدقاء زوجها عديمة الاحساس. هم الذين يتوقعون أنها على علم بكل ما يجري في الحاضر وما جرى ماضياً.

سألت على مضض:

«كيف.. كيف وقع الحادث، يا أمي؟»

تراجعت الكونتيسة قليلاً. لكن تعبير فلورا القلق والعذاب الظاهر في عينيها الزرقاوين ونظرتها التوسلية، كلها دلت على أن الفتاة تريد جواباً على سؤالها. تعلّلت المرأة العجوز على حسرتها وأجابت:

«لا أحد، حتى اليوم، يعرف بالتأكيد كيف حصل الحادث. كان ألان يعمل في المغطرة، وقوم بتجارب عديدة على عطر جديد صنعه. وكان يبدو فخوراً بهذا الانجاز بالذات».

وأمام نظرة فلورا المتاجئة، شرعت تقول:

«عائلتنا، منذ قرون عديدة، تعمل في صناعة العطور، يا ابنتي العزيزة. لا شك أنك سمعت عن عطور تريفيل».

تذكرت فلورا القارورة الصغيرة لعطر خالي النمس تقدمه لها مرة صديقتها جنيفر في عيد ميلادها. كانت تستعمله بدقة حتى النقطة الأخيرة. كما أنها حافظت على القارورة الفارغة في درج خزانتها لتعطر منديلها.

أجابت فلورا:

«يكاد تأكيد الجميع يعرفون عطورات تريفيل».

هزت الكونتيسة رأسها في رضى وتابعت تقول:

«لدينا شهرة كبيرة نستحقها، على ما أعتقد. إن ألان خبير وماهر وبالتأكيد، لديه سنوات عديدة من الخبرة وحياة أمضاها في اتصال دائم مع هذه الصناعة. ولويس كذلك، لكنه لا يملك نصف مؤهلات وقدرة ألان البارعة. لأبي، حاسة ممتازة ومرهفة ونادرة، تمكّنه من كشف جميع الفوارق الدقيقة الموجودة في العطر وتعيين كل نوع وعنصر يتألف منه هذا العطر. لكن موهبته الحقيقية هي قدرته على خلط خلاصة كل زهرة بأخرى وتوليفها، من أجل انتاج عطورات جديدة مناسقة، حتى أنّ الخبير الماهر لا يمكنه معرفة مصنوعات العصر إلاّ بصعوبة كبيرة، نعم إن غياب ألان أثر كثيراً على هذه الصناعة. صحيح أن لويس ما زال هنا، لكنه لا يملك الشرارة الخاصة بالعبقرية. انه يقوم بجهد كبير، لكنه ما زال صغيراً ولديه الميل في البحث عن منشآت أخرى خارج العمل.. وحديثاً، كان ألان، هو أيضاً، غير مبالٍ.. وفير مكترث..»

توقفت عن الكلام وبدأت بحركة صغيرة كأنها تريد التخلّص من ذكرى مجيدة، ثم أكملت في صوت حازم:

«يجب أن تطلبي من لويس أن يأخذه لزيارة المعمل، يا فلورا. يعرف تماماً أن يكون رفيقاً رائعاً ولطيفاً، وأني متأكدة تماماً أنك ستجدين نفسك مهتمة بالأمر».

قالت فلورا:

«لا شك في ذلك، يا أمي».

هذه الأفكار كانت تقلقها بعض الشيء، لأنها كانت تخشى ألاّ يراقبن ألان على هذا التخطيط لكنها لم تر أي عذر مقبول للرفض.

قالت الكونتيسة:

«سوف تذهبين في الغد. دعيني أكلم لويس بالأمر»

قالت فلورا في هدوء:

«كنت ستحدثينني عن حادث الآن...»

لكن الكونتيسة قالت وهي تهز كتفيها بعنف:

«ليس هناك ما أضيفه. لقد جاء أحد العاملين في المصنع الى القصر ليخبرنا أن الآن أصيب في عينيه من مادة الأسيد. بينما كان يعمل في المخزن. يستعمل الأسيد لتنظيف الآليات، حتى لا تفسد التجربة تجربة أخرى... وسولانج نفسها، التي كانت تعمل معه لم تتمكن من تزويدنا بالتفاصيل الدقيقة عما حدث آنذاك. منذ سنتين تماماً. أما بالنسبة الى الآن، فقد رفض أن يحدث أحداً بالأمر»

شعرت فلورا بشعورية تعبر جسدها، لكن قبل أن تتمكن من طرح اسئلة اخرى، نهضت الكونتيسة وقالت بحنان:

«سوف نتحدث عن ذلك مرّة اخرى. يجب أن أرتاح قليلاً، قبل موعد السهرة.»

توجهت نحو الباب. ثم توقفت:

«يا ابنتي، فلورا، جئت لأقول لك كم أنا سعيدة لأنك قررتي الآن زوجاً لك. إن الحياة، بالنسبة اليك، ربما تكون ..صعبة.. لكن، أؤكد لك، أنك تصرفت جيداً. حتى ولو أظهر بعض الأحيان قسوة وأبتعد بعض الشيء. فانك، بكل تأكيد، ضرورية لسعادته... وهو ضروري لسعادتك. أنت أيضاً أرجوك أن تقبلي بركتي وامتناني.»

هلّت فلورا جامدة تفكر بكلمات الكونتيسة بعد ذهابها. لقد عبّرت عن عاطفتها بصراحة وصدق وأفهمتها مدى الحيرة والارتباك حيال التغيير الذي طرأ على ابنها. وفلورا نفسها، لم تلاحظ في كلماتها

الأول بالكونت هذه الاناقة وهذا التطلف وهذه الطلاقة التي تسحر المرأة. وسمعت يدها على حنجرتها التي كانت تؤلمها. انها مقتنعة بأن الآن سيصبح هكذا من جديد. إذا تخلص من مزاجه الحزين الذي يسيطر عليه. لكن، هل سيلجأ اليها، فيما بعد هي الفتاة البسيطة، ابنة الكاهن، ليشاطرها فرحه واحلامه أو يلجأ الى سولانج بسهولة أكثر؟ فجأة شعرت بالقرارة تخنقها، فتزرت أحد خاتم سريع طائر قبل موعد العشاء.

انها و الآن يتقاسمان الفتاح ذاته، فهي تشغل الغرفة الواسعة، وهو يشغل الغرفة الصغيرة. ويفصل بين الغرفتين حمام مشترك. عندما دخلت الحمام، لم تسمع أية حركة داخل غرفته. دخلت الى الحجرة الشفافة وخلعت الحلية وراحت تصبغ بالماء. ولم تقرر إنهاء الحمام إلاّ حين شعرت بالبرد يخترقها. فتدثرت منشفة الحمام وراحت تدلك جسدها بسرعة ونشاط. فكانت منهمكة إلى درجة أنها لم تسمع الباب يفتح، ولم تحس بوجوده الآن إلاّ بعد أن رفعت رأسها ورأته. كان مرتدياً متزر الحمام، ويتقدم ببطء نحو الحلبة. وإذا بفلورا تضع يدها على فمها لتخنق صرخة كادت تنطلق، لكنه سمعها وقال بنبرة قاطعة:

«من هنا»

ثم ترد ارتباكه من الرهبة، برغم معرفتها أنه غير قادر على رؤيتها:

«من هنا؟ أريد جواباً في الحال.»

تقدم خطوة الى الأمام لكنه تعثر إذ ارتطم بكرسي صغير. فركضت تتمسك به كيلا يفقد توازنه. فتمسك بها. ومن جراء هذا الاتصال الحسي الأول شعرت أنها لم تعد تلك الفتاة الصغيرة الخجولة والخائفة، لكنها امرأة، ترتعش فرحاً ورغبة لدى لمس زوجها لها.

قال بصوت خفيض:

« فلورا»

كان على وشك إبعادها في غضب، لكنها تأوهت قائلة:

«أرجو أن تسامحني، يا آلان.»

وتذكرت بصعوبة أن العينين السوداوين الحدقتين بها لا يبصران في الواقع.

حاولت أن أقفل الباب بالقداح، لكني لم أتمكن من ذلك. احتد أن القفل معطل.»

كان جامداً لا يتحرك. وما زال متمسكاً بها، يضمها بشدة نحوه. وفي عينيه الخاليتين من النظرات، يلمع نور خفيض وعلى فمه ترتسم ابتسامة غامضة. ويبدو، جلياً نحوه، رفع خصلات شعرها الغليظة المتجعدة فوق جبينها. راح يتكلم في صوت حنون، ما تعودت سماعه، فقال لي لويس إنه امرأة تتمتعين بجمال خارق. قال بالحرف إنها وردة انكليزية رائعة.»

كانت ترتجف بين يديه، غير قادرة أن ترد عليه وتشعر به قريباً منها وتابع كلامه:

«هل تسمحين لي بأن أحكم على ذلك بنفسي؟ إن وضعي سيء. لست قادراً على أن أرسم في عقلي صورة زوجة سيحسدني عليها كل أصدقائي. كي قال لويس.»

لم تتراجع فلورا عندما وضع آلان يده على وجهها وبتعومة وبطء. كانت يداه تمران على جبينها المالس وفرق عينيها، لتلمسان رموشها ثم تمتدان الى خديها.

همس وهو يردد كلمات لويس:

«جبينك زرقاوان يرتديان تشبهان أزهار البنفسج، باتساعها وتحوطها الخمائلية. شعر كثيف وأشقر كالذهب. شفتان تشبهان الورد.»

كانت فلورا تتخبط بين الخوف اضطرام العاطفة. كان النبض يقفز في اذنيها، وشعرت بنفسها فريسة أحاسيس غريبة تزداد تطلباً كلما امتدت أصابع آلان حول عنقها، الرهف لتتوغل مطولاً على كتفيها. وصارت كالمجنونة عندما انزلقت انشقة عن جسمها، وفي تلك اللحظة بالذات أظهر آلان بدهشة الفولة أنه غير قادر أن يسيطر على نفسه أكثر، وبقوة شد زوجته نحوه وعانقها ومن كل أعماق قلبها المحب. كانت فلورا تشاركه هذا الاحساس. كانت غارقة في حبها، وفي الوقت نفسه كانت تسمع صوتاً يقول لها إن هذه الرغبة الهائجة التي يتظاهر آلان بها، لم تكن موجهة اليها، إنما الشبح من الماضي. لكنها رفضت أن تصغي الى ذلك الصوت. من كل قلبها، من كل روحها، كانت تحب آلان، حباً عميقاً الى درجة أنها كانت مستعدة لتبادله كل عواطفه.

وفجأة، ابتعدا عنه وقال بصوت لاهث، وقد متقلص:

«أرجوك أن تغفري لي تصرفي هذا. ما كان يجب أن يحصل ما حصل.»

راح يحاول استعادة برودة أعصابه:

«لا أجد عذراً لمثل هذا التصرف. إنه جدير بالاحتقار. فلورا، هل تسامحينني؟»

فوجئت اذ رأت الكآبة على وجهه، فقالت:

«ليس لدي أن أعتقر، يا آلان.»

قامت بحركة لتضع يدها حول عنقه، فتمسك بمعصمها، فصرخت:

« آلان، لا داعي للاعتذار. أنا زوجتك.»

جوابه البارد أطفأ في داخلها كل أمل:

«كان لي هدف من الزواج منك. لكنه لم يكن هذا الهدف. إني في حاجة الى وجودك، لكن، يا إلهي، لا أعرف بالضبط.

كان يبدو مرتبكاً وغير متطلّب وتابع:

«بدأت أتفهم أنك ارتكبت غلطة كبرى بالسماح لك بأن تتزوجني لصف رجل عجوز عندما عرضت عليك الزواج. كنت أعتقد أنني أخدمك بذلك.»

«لخدمتني؟»

وبعد صمت مزعج، عاد يقول في تردد مضطرب:

«سأكون صريحاً معك. كنت دائماً صادقة معي وسأجازيك بالمثل، على الأقل.»

تصلبت جاسكت في انتظار اعترافه. لم تكن تعرف ما الذي ستفعله أو تقوله إذا ما اعترف بأنه تزوجها لمجرد أن يحميها من [illegible]

«لأسباب عدة، كنت في حاجة الى زوجة، وكنت أنت المرشحة المثالية. عندما سألتك أن تتزوجيني، كنت أعتقد أنك امرأة في سن متقدمة، وسيدة مطيعة لا ترفض متطلّبات والدها، وليس لها أمل بالخروج من الوضع الشاق الذي كانت متورطة فيه.»

رفع يده ليقرض عليها الصمت، عندما سمع أخذ تعجب أطلقتها فلورا وأضاف يعتذر:

«لم يقل لي أحد أنك فتاة شابة وجميلة، قادرة على جذب الرجال. لا أحد قبل لويس... بعد أن فات الأوان. كنت اعتقد بأن صديقك عائد الى تربية قاسية. لو عرفت أن سبب ذلك أنك ما زلت شابة، لما

استغلت ثقتك وإرادتك الطيبة، بالنسبة الى كنت الرفيقة المثالية، التي لم أكن احتاج معها الى ارتداء، أي قناع أرجوك أن تصدقيني. كنت متعباً ومضطرباً عندما وصفك لويس. اعتقدت أولاً أنها مزحة من مزحاته الثقافية، وهذا السبب تصرفت الآن بهذا التصرف المؤسف. كان يجب عليّ أن أعرف.»

شعرت فلورا بالحقد، لكنها تمكنت من اطلاق ضحكة سريعة قبل أن تسأل:

«لماذا كنت تعتبرني عانساً عجوزاً، فلماذا أردت أن تتزوجني؟»

ومن خلال سحابة الدموع المغرورقة في عينيها، رأته يهز كتفيه ويقول:

«يمكنك أن تعتبريني جباناً، لما أردت. لكني كنت أبحث عن إنسان أتحدى به من التواطؤ الخارجة التي تنتظرني بعد لويس عرفت كنت بحاجة الى شريك زواج وصديق، لكن مشكلتي كانت أنني لم أعرف ما كنت أريد حقاً، لا على الحقيقة أو يتجهه [illegible] الترف والمال وكل ما يمكن أن أقدمه اليك بديلاً، ليس ذا أهمية بالنسبة الى المرأة التي أتصورها...»

ثم أكمل يقول:

«لكني لا أفهم، لماذا قبلت عرضي. وما هو السبب الذي تقبلين الزواج من أحمق؟»

شعرت فلورا بقلبها ينتفض في صدرها، من الأفضل أن تتركه يعتقد أن هناك دوافع مثيرة وذات أهمية. أجابت في فجعة حاولت السيطرة على ارتجاف صوتها:

«ربما كان حكمك عليّ خاطئاً. إن قريبي غيلبرتهام بثابة سجن

www.liilas.com

حقيقي وكنت دائما أحلم بالقرار والعيش بعيداً. لذلك عندما اقترحت علي أن تتزوجني وتأخذني معك الى فرنسا، لم أدع هذه الفرصة تفوتني. لذلك ليس من الداعي أن تحكم على نفسك او على أعمالك، يا ألان. لقد اشتريتني وأنا كنت مستعدة كل الاستعداد لأبيع نفسي. الزمن هو الوحيد الذي سيقول لنا من منّا الذي قام بصفقة أفضل.»

كان ألف ألان الكبرياني يرتعش. كان يبدو مرتبكاً الى درجة أنه لم يجد أي جواب. لكن سرعان ما ابتسم ابتسامة ساخرة واستعادت عيناه رونقهما الساكن. ثم استدار وابتسم بتعبية سريعة وخرج من الباب تاركاً فلورا وحيدة. راحت تبكي وترتجف من البرد في هذه الغرفة القذرة.

٦ ـ سؤال بلا جواب

عندما يصل الانسان الى قمة العذاب، يتوصل الى معرفة الحذر الفرح والاحساس به. وعندما استعرضت فلورا كلمات ألان القاسية، وعندما اضطرت الى الاعتراف بأنه لا يعني لها الكثير، وبأنه لم يطرح أي سؤال حول منظرها الخارجي أو حول عواطفها، توصلت الى الاحساس بذلك الحذر الذي ساعدها على قضية الليل وهو بصعوبة.

بعدما خرجت من الحمام، جلست على حافة سريرها وراحت تفكّر في السؤال الذي يجب أن تتبعه كي لا يتزعج الاشخاص المعنيون. لقد طرحت بعيداً فكرة العودة الى الكلترا، اذا لم تكن تريد بأي ثمن أن ترى والديها يتعذّبان من أجلها.

الكونتيسة الأم... يجب هي أيضاً، ألا تعرف عمق الهوة التي تفصل ابنها عن عروسه الشابة وشذوذ ألان. على هذه النقطة بالذات عندما دار الحديث حول الاقامة في جناح مشترك. لقد أفهمها أن والدته

سعيدة جداً بزواجه ولا شيء يجب أن يعكّر هذه السعادة. وقبلت فلورا أن تلعب هذا الدور في وجود الكونتيسة. وأنانك يجب عليها أن تنفذ وعدها، حتى إذا كان ذلك يعني، أن عليها البقاء في القصر الى الأبد، او على الأقل، الى فترة من الزمن يوافق عليها الآن بنفسه. ومع ذلك، اتخذت قراراً حازماً، لن تعود، من الآن فصاعداً، تلك المرأة الوديعة التي تطيع كل نزواته، ولا تلك امرأة المستسلمة التي تقبل كل كلماته القاسية. ستكون لها حياتها الخاصة. هي أيضاً. صحيح أن مستقبلها يبدو صعباً. لكنها لن تدع زوجها يجعله مستحيلاً.

ارتدت ملابسها استعداداً للعشاء، ونزلت على مضض لمجابهة محيطها الجديد. إن اتساع المكان وحجمه الضخم يرعبانها. رفعت عينيها الواسعتين نحو السقف العالي، نوافذ طويلة وضيقة حيث تدخل أشعة الشمس التي تنير الأثاث الخشبي المنحوت بفن رفيع. هنا وهناك تجد المناكفة المحفورة في الجدران والتي تحتوي على التوابل النادرة والتفيلة. درابزين الدرج الواسع المصنوع من الحديد المنحوت بدقة كي يشبع الصكوت بيته. وفي الطابق الأرضي كان البهو أيضاً مبلطاً بالرخام، ذي المربعات الوردية والبيضاء. وتطل على البهو أبواب عدة. رأت فلورا أن أحد هذه الأبواب مفتوحة، فاتجهت صوبه.

الغرفة التي دخلتها كانت غرفة المكتبة. جدرانها الأربعة مكتسية بالكتب المجلّدة بمختلف الألوان والأحجام والممتدة من السقف حتى الأرض. سلالم نقالة متحركة تسمح بالوصول الى الرفوف العالية. ولفاجأة سمعت صوتاً:

«آه، الزهرة الجميلة! اني سعيد أنك جئت مبكرة، سوف يتسنى لنا التعرّف عن كثب.»

فوجئت فلورا، لكن لويس ابتسم معتذراً:

«عفواً اذا كنت اخفتك. دعيني أقدّم لك شيئاً ذليل الاعتذار.»

رفعت عليه بابتسامة عريضة. هذا الرجل جذّاب وعفوي. ومن المستحيل مقاومة سحره.

أجابت:

«شكراً.»

توجّه نحو طاولة عليها كل أنواع المشروبات.

«ما رأيك بعصير الليمون؟»

«عظيم.»

قدّم لها العصير وهو ينظر إليها في ثوبها الأزرق البسيط الذي حاكته والدتها. كانت بالنسبة اليه النعاسة جديدة. وبينما كان يلقي نظرة على قمصان الزفيف، وعينيها الجميلتين الخائفتين، فهم كيف تشكل المرأة من الغرب، وكيف تخاف أن تعترف، تترك لعينيها ويديها وشفتيها شرف الاعتراف.

كانت تحتسي مشروبها في جرعات صغيرة وتتساءل متى سيأتي الآخرون. نظرات لويس الوقحة لم تزعجها كما كان يتمنى، لكن احتمال لقاء جديد مع سولانج أزعجها.

أعلن لويس بنبرة حائلة تشبه نبرة ألان:

«لا شك أن سولانج تفعل المستحيل كي تبدو بمظهر رائع تتحدى فيه كل الاتجاهات التي تهدد مركزها كأجمل امرأة في المنطقة...»

حدّقت فلورا في عيني لويس وقالت بهدوء:

«ألم تقصد ألان بالذات. أليس كذلك؟ اذا كان هناك شيء على خاطرك، لماذا لا تكون صريحاً وتتكلم؟»

شعر لويس بارتياح أمام هذا الصدق البسيط لكنه سرعان ما قال وهو يهز كتفيه:

«الناس هنا، يعرفون أن الآن وسولانج كانا على وشك الزواج، وربما أتت على علم بذلك أيضاً».

راحا تمشي على شاطئها، فسارع يطمئنها قائلاً:

«لا تقلقي، لم يعد ذلك وارداً منذ سنتين فعلت سولانج عن الخطبة بعد الحادث بقليل. كان الآن واثقاً في الشتوي والجميع وجدوا أنها لم تتصرف معه كما يجب. ولا أعتقد أن الكونتيسة غفرت لها ذلك. بعد ذلك رفض الآن أن يسمع أي شيء عن سولانج. لذلك فوجئت اليوم من تصرفه. لقد عاملتنا الشرع سولانج بمغادرة القصر ليل بحي، ابن عمي. لكنها أصرت على أن تكون موجودة لاستقباله. وبالطبع كانت تعتقد أنه سيكون وحده. لقد طلبت مني الكونتيسة أن أعدها بألا أخبر سولانج عن زواج الآن ...»

سأله فلورا:

«هل يعني هذا أن سولانج كانت تنوي مصالحة الآن؟»

أجاب لويس منطلقاً حاجبيه:

«ليس في استطاعتها أحد أن يدخل إلى أعماق سولانج. منذ سنتين لم ترها في القصر إلا نادراً. حسب رأيي، لا شك أنها توقعت نجاح العملية الأخيرة، وقد تكون صممت لنفسها شيئاً. عادت إلى هنا منذ أسبوع وقامت بالترتيبات اللازمة لتؤمن عودة الآن بطائرة والدها. هل كنت تعرفين ذلك؟»

هزت رأسها. فأضاف لويس:

«ربما شعرت بصدمة قاسية لدى سماعها بفشل العملية. وكذلك

صدمت مرة ثانية لدى اكتشافها زواجكما. وأنا اعتقد أنه السبب الذي جعلها تنزر البقاء في القصر إبان تحضير أن الآن يخصها وحدها. ويرغم رفضها فقدان الحياة بكاملها مع رجل ضرير إلا أنها لا تستطيع أن تتصور أن امرأة أخرى خطفت منها الآن».

ثم أضاف:

«يا فلورا، عليك أن تحذري منها. يمكنها أن تكون خطرة. ولن تترفع من أن تجعلك تدفعين ثمن خيبة أملها».

اصفر وجه فلورا. كلمات لويس تكاد تحيط من عزيمتها. لقد ألقيها لويس بدون أن يدري موقف زوجها. أراد أن ينتظم من سولانج بزواجه منها. وشعرت بأنها على وشك البكاء. وكادت تسقط لو لم يسارع لويس إلى تدارك ذلك في الوقت المناسب. وهنا دخلت سولانج وذلك في صوت ساخر:

«ماذا أرى! هكذا إذاً، يا لويس، ذلك الآن تأتين مواعيدك».

ثم استدارت نحو الآن وقالت:

«ليتك ترى فلورا ولويس، إنهما في ذروة تفاهمهما».

كانت وجنتا فلورا حمراوين كالنار وهي تتنقل من بين ذراعي لويس. لم تكن تحذق إلا بالآن. وشعرت بانقباض في قلبها عندما رأت الغضب في وجه الآن. وهي وحدها لاحظت انفعاله. وعندما اقترب قال في نبرة خفيفة:

«دعنا بعد يا سولانج. اكملي حديثك. لولاك ولولا تنبهك اليقظ لكنت مضحكاً أمام الجميع».

سقطت الابتسامة من على شفتي الفتاة وشعرت فلورا بارتعاشة تعبر جسدها إن لويس على حق، سولانج قد تكون عدواً خطراً.

وهنا وصلت الكونتيسة. ومنذ «غوطا لغرفة المكتبة، اتجهت غريزياً أن شيئاً ما يحدث. كان الآن أول من حيّا والدته.

«أه، يا أمي العزيزة، انت هنا والآن يمكننا البدء في العشاء».

عادت اليها بشاشتها وأجابت:

«الآن، انك لا تتغير. انك توبخني دائماً على أني متأخرة. لكني بعيدة لعوقك ولذلك أسامحك».

وفجأة سألت سولانج:

«كيف عرفت، يا آلان، أن أمك هنا؟»

«هل نسيت جيده السرعة، يا سولانج؟»

تبادلت الكونتيسة ولويس الابتسام. فلورا وحدها لم تفهم شيئاً.

قالت سولانج في اشمئزاز واستياء:

«كلا، بالطبع. إن والدتك تعطر العطر الذي صنعه خصيصاً لها وأنت شممته حتى قبل أن تدخل الغرفة. انك ما زلت تحبّ هذه اللعبة. أليس كذلك، يا آلان. وتعتز بقريحتك. وأنت أعمى، على أن تعرف متى تدخل أمك الغرفة».

اختفت نظرة الاشمئزاز من عينيها واعترى صوتها نبرة حبيبة وقالت:

«ولكن هل نسيت يا آلان، أنك وعدتني بابتكار عطر خاص بي؟ هل كان ذلك العطر الذي كنت تصنعه خلال الحادث، أو أنك اصبحت الوصفة؟»

اصفر وجه آلان فتقدمت فلورا نحوه، لكن لويس شدها من ذراعها قائلاً آلان واستأنف تعشاءه.

«ليست الوصفة وحدها التي ضاعت، في ذلك اليوم. ويكفيني أسي خسرت نظري لأكفّر عن هذا الوعد. اذا نفذت بأي وعد جاء».

كأنه لم يتكلم ولم يتعذب. اذ تقدمت سولانج منه كأنه تتوسّل اليه. وقالت فلورا لنفسها إن آلان عاجز عن تأمّل هذه المرأة الجميلة ذات القوام المنشوق.

قالت سولانج بالحاح

«يجب أن تتابع تجاربك، يا آلان. إن موهبتك الأساسية هي عاطفة الشم، وما زلت تملكها. ولم تخسر حرفتك الكئيبة خلال السنوات الماضية. ينقصك الظرف فقط وأنا يمكنني أن أهيئ لك. كنت تقول دائماً التي أساعدك في المختبر ويمكنني أن أساعدك الآن أيضاً. انت وأنا، يا آلان، يمكننا استعادة السحر الذي جعل من عطور تريفيل شيئاً نادراً».

تدخلت الكونتيسة وحينما تلمعان غضباً:

«أتريدين القول أن هذا السحر لم يعد موجوداً؟»

قالت سولانج وهي تهز كتفيها:

«إن عطور تريفيل تتمتع بشهرة تستحقها وهذا ما نعرفه جميعاً ويجب الاعتراف، أيتها الكونتيسة العزيزة، أنّ غياب آلان يزداد فراغاً لا يمكن ان يملأه أحد. ومنذ سنتين لم يتم صنع أيّ عطر غريب من نوعه. وهذا يجعل المتنافسين يتهجمون قرعاً لذا انتم في حاجة الى عبقرية. آلان، اذا اردتم المحافظة على شهرتكم».

غضب لويس لكنه بقي صامتاً. انتفضت فلورا عليه، خلف قناع اللامبالاة، شعرت بارتجاج هذا الشاب الذي حاول أن يحلّ مكان ابن عمه الكبير، لكنه فشل بصورة مؤسفة.

قال الآن بلهجة واضحة.

«لا شك أن معلوماتك واسعة يا سولانج. لكن أرجوك ألا تتحدثي عن أي شيء يخص ما حدث، في الليلة الأولى من خطوبتي. لويس وأنا كنا دائماً على اتصال، خلال غيابي.»

التهب ملامحه ولفظ كلماته بلهجة حازمة وهو يضيف:

«أما فيما يتعلق بعرض خدماتك، فإنّ هذا لطف منك أن تقترحي مساعدتي، لكن أصل ألاّ تتهميني بنكران الجميل إذا رفضت مساعدتك. لقد نسيت، على ما اعتقد أن لديّ الآن شريكة دائمة يمكنها أن تساعدني في كل شيء... فلورا، زوجتي.»

كانت كلماته بالنسبة الى سولانج مثل دوش بارد، وفرحت فلورا لأنها لم تكن جرحة لسخرية الآلان، الذي كان يبتسم بينما الجميع يلزمون الصمت. انه وسولانج، المثلان الأساسيان في المسرحية، كل انتباه فيها لا أنوار لهم، لكنهم مسحورون. براثين الانفعالات تتناوب على وجه سولانج: المفاجأة، والاحتقار، والغضب وأخيراً، الاستسلام الحزين الظاهر في عينيها اللتين سألت الآن وضعته بين ذراعيها وهي تقول:

«أنت على حق. فأنا أتدخل في ما لا يعنيني. لو كان ابي موجوداً، لقال لك إن هذا أحد اغلاطي الكبرى. هل تسامحني، يا صديقي؟»

بدا الآن وكأنه استسلم، ووضع يده سولانج على شفتيه وقبل طرف اصابعها وقال:

«ليس لك أن تطلبي الغفران يا سولانج الجميلة. أنت تعرفين تماماً أننا متفقان جيداً والكلمات بيننا تفقد معناها.»

ثم استدار نحو المجموعة الصغيرة وابتسم قائلاً:

«اعتقد أن الوقت حان لتناول العشاء.»

خلال العشاء، كانت فلورا معجبة بلويس الذي أحاطها بكل مظاهر الرعاية واللطف. وسولانج استأثرت بانتباه الآلان، الى درجة نسيا معها الآخرين. لكن الكونتيسة لم تكن موافقة. كانت تحاول أن تقاطع جهيما لتنوع الحديث بكون شاملاً الجميع. ومن دون اخفاء انزعاجها، قاطعت ثكة اطلقتها سولانج:

«الآن، طلبت من لويس أن يأخذ فلورا الى زيارة المقطرة، شأن الأمر يهمها على ما أعتقد.»

رفع رأسه ووضع شوكته على صحنه وسأل:

«ملاذا لويس؟ هل هناك سبب يجعني من أن اصطحبها أنا بنفسي؟»

«يمكنك أن تذهب أنت معها أيضاً، يا بني. لويس يطلعك على التغييرات التي حصلت خلال غيابك، وفي الوقت نفسه يطوف مع فلورا في كل الأمكنة.»

انسحبت وجننا الكونتيسة، فاستدارت نحو كنتها وصاحت لتفصل بحسية:

«يجب ان يأتيك الى حقل الزهور. إنه منظر غو جمال خلاّب. وستفتنين المقاطرة. إن بعضهم من هنا. لكن معظمهم يأتون فقط خلال الموسم. وبعضهم حالات كثيرة تعمل عندنا منذ أجيال عديدة. العديدون كانوا هنا عندما جئت أنا الى القصر. وكنت عروساً. وكبر اولادهم مع الآن وأنس. و بكلادون يكونون اخوة...»

فجأة علت صوتها للرتعش، وشعرت فلورا بأن الآلان مسؤول من اضطراب والدته بسبب بروفة احصائه. كانت يدا الكونتيسة ترتجفان. رفعت كأسها واحتست جرعة منه ثم وضعت فوطة على

شفتيها لتخفي ارتجافها.

ابتسمت فلورا وقالت بهدوء:

«لا شك أنك كنت عروساً رائعة، يا أمي. إن سحرك واهتمامك ساعدا كثيراً في جعل العمال المخلصين لعائلتك.

بهذا لطف منك، يا ابنتي، لكن ليس الفضل لي وحدي. كان زوجي العزيز رجلاً طيباً وكريماً. كان يعتني بموظفيه الناس بشكل ممتاز. أنه ارستقراطي حقيقي، لكنه كان يظهر لطفه واهتمامه بالعاملين لديه أكثر بكثير من جيراننا الورجواز بيزه.

وبسرعة البرق وجهت نظرها إلى سولانج، وتساءلت فلورا ما إذا كانت عائلة شبستيه من هذه الفئة من الناس. لكنها تأكدت من ذلك عندما ضحك لويس. ويبدو أن الكونتيسة أدركت انها غلطت فأسرعت القول:

«كما قلت للآن، يا عزيزتي فلورا، لا تترددي إذا رأيت شيئاً لم يعجبك داخل القصر، من أن تدخل بعض التغييرات المناسبة. منذ قرون عديدة، كما تلاحظين، بنى الديكور نفسه. لقد تم تجديده بالطبع، لكنه ظل محافظاً على طابعه الأصلي. إن لكل غرفة مزاجاً خاصاً وزخرفة معيّنة. غرفتك هي الغرفة الوردية، بينما غرفتي أنا، هي الغرفة الصفراء. والغرف الأخرى بعضها بحمل ألوان البنفسج واللاوند والجرانيوم والزنبق... وخلاصة كل انواع الأزهار التي تنبت حول القصر».

ستظل الأمور كما هي عليه، فيما يختص بي، يا أمي. اني ارى الفكرة رائعة، أصيلة ومبتكرة».

ضحكت سولانج بحدة وردّدت بلهجة ساخرة:

«أصيلة! مبتكرة! كيف يمكن اعتبار هذه الفكرة مبتكرة وكل العرائس الشابات يقمن بجزمتها منذ قرون حتى اليوم! بالنسبة إليّ، كل شيء مبتكر وأصيل يعني أنه لا يوجد شيء، مثلك قطعياً ثوبي، مثلاً. إنه الوحيد من نوعه».

ثم أضافت بخبث:

«مثلاً، انظروا الى ثوب فلورا. أليس هذا تقليداً بشعاً لزي معين»؟

خيم صمت كئيب وانهمت سولانج أنها ذهبت بعيداً بوقاحتها وشعرت فلورا بالاحمرار يغمر وجهها. لكنها كانت شاكرة للويس الذي راح يتابع عنها إذ قال بنبرة ساخرة جعلت الفتاة تنتفض غضباً:

«لكن يا سولانج، يا إني العجب دائماً أن أرى، أن النساء، مثلك، اللواتي يخترن ملابسهن من مشاهير الخياطين، يتمتعن جميعاً بالظهر نفسه. بينما فلورا تملك جمالاً طبيعياً يسطع حتى ولو كانت ترتدي الأسمال العادية، وهذه الزهرة وحدها كافية لتجعلها رائعة أمام زوجها».

غلب الآن حاجبيه، وسولانج لا تعرف ماذا تقول لترد على لويس.

نهضت الكونتيسة وأعلنت بصوت حازم:

«أعتقد أن الوقت حان لأن ندع فلورا والآن يستمتعان بوحدتهما. إننا لا شك نسينا أن نهارها كان مليئاً. وفي كل حال، إنها ليلة زواجهما وعلينا أن نشكرهما إذ أتاحا لنا قليلاً من الوقت لنستمتع بالعريسين الجديدين».

اقتربت من الآن وربتت على كتفه.

فاكتفي، الآن، اطلب منك أن تأخذ فلورا الى غرفتها. إن الابنة السكينة لكاد تموت تعباً.

راحت فلورا تحو الآن عينيها الغائرتين. ماذا ستكون ردة فعله أمام الأمر الذي فرضته عليه الكونتيسة؟ لا بد أن الكونتيسة تتساءل ما يمكنها أن تتوقع من ابنها الغريب هذا. لكنها رأت بارتياح أنه بدا مرتاحاً. ربما قرر أن يطيعها، تساهم على كلياته القاسية.

سمعت فلورا لويس ينتهد طويلاً وينتفض لدى سماع صوت الآن يقول:

«لا شك أنك على حق، يا أمي».

ثم جال بعينيه الخضر يزين حول المائدة وأضاف:

« فلورا، إذا كنت مستعدة فاننا نستطيع العودة الى جناحنا الخاص».

انتفض لويس وقال:

«دعني أساعدك، يا آلان».

اجابه الآن بلهجة ساخطة:

«لا، شكراً. سنهتم فلورا بالأمر. تصبحين على خير يا أمي. تصبح على خير يا لويس. وشكراً يا سولانج. ربما لدقي غداً، على الظهر».

وباستنزاز، أجابت سولانج:

«ربما...»

خرج الآن وفلورا من غرفة الطعام وتسلقا السلالم التي تؤدي الى جناحهما. انتظر الآن أن تدخل فلورا غرفتها ثم توجّه الى غرفته. وراحت فلورا تتساءل وهي تجلع ثيابها، إن لم تكن الآن القدرة على أن يبدو لطيفاً ومهذباً، وأحياناً رقيقاً لا يطاق. ومن

الآن، معرفة حقيقة أفكاره، أو توقع ردات فعله. دخلت الحمام لتأخذ حماماً سريعاً.

وبعد أقل من عشر دقائق كانت ترتدي قميص النوم المصنوعة من قماش الشايفون الأسود المخرّم التي اختارتها الليلة عريسها. والتي اعتبرتها إسرافاً. شعرت بغصة في حنجرتها عندما اشترتها... كان الجوّ مثلجاً. فازاحت الستائر وفتحت النافذة. في السماء، القمر هلال، ولا نجمة واحدة تبعد عن فلورا الحزن والكآبة. كأنها في حلم، راحت فلورا تتنشق الروائح النفاذة من كل مكان حولها.

وبقيت أمام النافذة لحظة، لحظة طويلة، ثم تنبهت لما سمعت درجة آلية من غرفة الآن. صوت خطواته اللاهجة ذهاباً وإياباً داخل الغرفة الصغيرة. انتفض قلب فلورا. هل الآن مريض؟ راحت تصغي. كانت الخطوات ايقاعية متناسقة: ثلاث خطوات وبعدها صوت درج افتح. خمس خطوات وصوت قاطع التيار. ست خطوات وصرير الباب. وفهمت أخيراً. إنه يتعلّم التر في غرفته. وهمست في صوت منتظم: «آه، يا حبيبي السكين، لو تسمح لي فقط بمساعدتك!» تصلّبت فلورا. الخطوات توقفت أمام الباب. جلست المسرح على خديها الساخنين بينما كانت تنتظر، لا تجرؤ على التنفس البطيء. وارتاحت عندما سمعت ضربة خفيفة على الباب.

قالت بهدوء:

«ادخل».

ازدادت نبضات قلبها الى درجة الاحساس بالألم.

لم تشعل نور الغرفة. والقمر شبح. الآن في منزره القاسي وهو يدخل الغرفة.

سألها في صوت متوتر:

هل ازعجتك؟ لم أكن قادراً على النوم ونسألت... ربما يمكننا أن نتحدث...»

بذلت فلورا جهداً كبيراً للمحافظة على نبرة صوتها الطبيعية، لأنها تعرف أنها يجب عدم اظهار شغفها. فقالت:

«بكل تأكيد. ادخل. وأنا كذلك لم أستطع النوم. ومن الأفضل أن نتحدث».

ويبدو راحت فلورا تتحدث، حول كل شيء وحول لا شيء، الى أن شعرت بالهزء يهدأ، فسكتت، واكتفت بالبقاء قربه، أمام النافذة، تاركة للليل العذب اكمال المهمة.

«أنت انسانة مريحة جداً، يا فلورا. هادئة وساكنة؛ إنها الصفات التي جذبتني إليك في البداية».

ثم أضاف بلهجة أكثر قسوة:

مريعاً، لأنها تعاكس كلياً مزاجي الشيطاني، ونزواتي المتهورة، التي لا تطاق».

قالت ببطء:

«رويداً يا آلان. دع عقلك يستريح. لونتاج جسدك».

قال وهو يشدّ على معصميه:

«نعم... كل الذين حولي يتمنون أن يجدث لي ذلك. لقد توحشت حتى أن أجرح شعور والدتي».

فجأة أمسك يده الستائر في عنف جعل فلورا تعتقد أنه سوف يقتلها. ثم تابع يقول وأسنانه تصطك توتراً:

«لا أحد يفهم. لا أحد يمكنه أن يتصوّر العذاب الذي أقاسيه. إني

اسمع اصواتاً، وأصغي الى الكلمات وأتساءل باستمرار ما يمكن أن يقوّيني من عدم قدرتي على رؤية التعابير على وجه محدّثي. منذ سنتين وأنا اتعذّب من الكذب، حتى أني بدأت لا أعي بأية كلمة. عندما أكل، اتساءل، هل طريقتي وحركاتي منظرة. أو هل أستطيع الوثوق بالذين يتعجّبون من قدرتي الفائقة؟ إني ارتاب حتى من كلمات والدتي، لكنني أخمنها لأني أعرف جيداً أنها لا تحبني أبداً بإرادتها لكن أنت، يا فلورا».

أمسك كتفيها في قوة وقال:

«لقد اعتقدت أنك حلوة وطيبة. وتصوّرت أنك لا تفكرين إلاّ بالخير. لكنك خيّبت أملي نهائياً عندما اعترفت بصراحة أنك ارتشيت... كنت للبيع وأنا اشتريتك».

تابع كلامه وهو يهزها بقوة حتى أنها اضطرت الى حبس صرخة مؤلمة.

«يا إلهي! لا أعرف شيئاً. لكن خيبة الأمل تؤلمني أكثر من أي شيء اخر. إني بحاجة لوجودك بقربي. لكني أرفض أن أتصرّف كالضحاة أمسي) فوق الطريقة. من هي المرأة التي تزوجتها؟ ابنة الكاهن الناعسة، الرقيقة أو المرأة المتذرعة؟»

كانت تقاوم وهي مضطربة وخائفة من نفوره وغضبه ولم تلاحظ أنه طرح عليها سؤالاً. كانت يدا آلان تهتز كتفيها وعيناه تلتمعان غضباً. ومن خلال موجة الرعب التي غرقت بها فلورا، استيقظت فيها الشفقة. لكنها كانت خفيفة لا تساعدها على التغلب على الخوف الذي كان يقترب منها، خوف أصبح جزءاً عندما تنفّسها نحو وقمس في داخلها.

«هكذا اذاً. الخجل، يمنعك من الاجابة؟»

شعرت بالأنين يرفعها عن الأرض ويحملها الى السرير. أرادت الاعتراض، لكن الدموع خنقت الكلمات في حنجرتها. ولم تعد تقاوم ولمّات متعددة، رافعة عينيها الواسعتين حلماً نحو الرجل، الأعمى نفسياً وجسدياً، نحو زوجها الذي تزوجته هذا الصباح بالذات على يد والدها القسيس.

انحنى امامها ورأت على وجهه ابتسامة منعطشة. وبعد لحظة، كان شعر فلورا الأشقر ينتشر على يد الآلآن كبالة ذهب. وكان انحناء الرجل قوياً وعنيفاً. وبشعر بتجاوب خجول من جانبها.

أريج الأزهار يعبق في النافذة المفتوحة. ستظل فلورا تتذكر هذه الليلة التي وداد فيها اعصابها، بتصعب وصفه، من رجل أعمى، فلبه هو هيكله.

وبينما كانت ترتاح قريباً، كانت تحاول أن تسبر أغوار عواطفها الضائعة. الفرح والألم، الحب والخجل. هل يحبها، هل يكرهها؟ هل هو يتملكها كزوجة أو كعاهرة يدفع لها ثمن خدماتها؟

تحرك الآلآن. وناداها هامساً ثم شدها من جديد بين ذراعيه. فاسترخت فلورا وبابتسامة سعيدة أغمضت عينيها، تاركة السؤال من دون جواب.

٧ ـ الغيرة أخت الحب!

عندما استيقظت فلورا في الصباح التالي، لم يكن الآلآن بقربها. حاولت كل جهدها أن تتذكر ما حدث لها الليلة الماضية. لكن سؤالاً ظل يقلقها: كيف سيتصرف الآلآن، عندما سيواجه فلورا وجهاً لوجه؟

جلست على كرسي أمام المرآة وراحت ترتب شعرها وبعدها ترقرق. ولما بصورة الآلآن تظهر في المرآة. فوجئت وتركت الفرشاة تقع على الطاولة محدثة ضجة عالية.

وسألها من دون أي تأنيب ضمير:

«هل اخفتك؟»

كان يرتدي بذلة فاخرة اللون، وقميصاً من الحرير وربطة عنق معقودة بطريقة متقنة. وشعره الأسود مرتب بعد الحمام.

أجابته في صوت خافض وهي تحاول تهدئة نفسها:

«كان يجب ان تطرق الباب».

قال بامبال:

«لماذا؟ لا أستطيع ان اراك. في كل حال، ليس هناك فرق بيننا، بعد الآن».

إن بروة صوته لا تطاق. نهضت فلورا للحال وارادت الابتعاد، لكنه شعر بحركتها وأمسكها من كتفيها زاماً نفسه:

«لم انت كي اعتذر. ما حصل مساء امس، لم يكن محضراً او مرغوباً فيه. هل تصدقينني؟»

أي أمل جديد في آمالي. فلورا. مات. يبدو وكأنه من المستحيل أن تصدر هذه الكلمات المريرة عن رجل همس في أذنيها منذ ساعات قليلة، كلمات الغزل، والذي أيقظ فيها أحاسيس غريبة كانت تجهلها تماماً.

«لا أعرف لم تصدقني. هذا لا طائل فيه. سأعرضك لمثل ما تعرضت له. لكني سأطلب من دار أشهر المحامين أن يرسلوا لنا كل مستحقات الأرث. وسأطلب من أمي أن تريك كل مجوهرات العائلة، وهي تتصدق باختيار ما يليق بك».

كل كلمة كانت تنهر قلب فلورا. مثل نصل سيف حاد. وراحت تتساءل ما إذا كان بإمكان الانسان أن يموت من الخجل أو العار. وما إذا كان قلب مصاب بجرح عميق في وسعه أن ينزف حتى الموت. وراحت تتهاوى تحت تأثير هذيان مزدوج. خار جسدها النحيل، وهفت النحيف يحمل ثقل رأسها بصعوبة. وفمها يرتجف أمّا وخيبة.

«لماذا لا ترديّن على سؤالي؟ انا كنت ترغبين بي نعم، ما، ما عليك إلاّ ان

تقولي».

استعادت انفاسها قبل أن تقول بي صوت مرتجف:

«أريد أن أبقى وحدي. أرجوك دعني».

رفع الآن حاجبيه وبدا وجهه مختاراً كانت عيناه تتفحصان ملامح فلورا محاولة معرفة سبب انسحابها.

سائلاً:

«ماذا فات حتى توترت اعصابك هكذا؟»

ثم أضاف يبدو كأنه استرجع الفكرة:

«ربما أكون قد أخطأت».

أخذها من جديد في كنفيها وتنفسا بعمق نعرة:

«دعيني من جديد لماذا تزوجت مني؟»

www.liilas.com

لثيابها الشجاع والبطولي أعطى تناقضا. فقد اعتلى وجه الآن قناع القسوة والكره الغاضب، مما جعل فلورا تتراجع الى الوراء ولد اعتراها الذعر من نفسها.

قال الآن:

«إني آسف أن أكون قد خيبت آمالك الى هذا الحد. ولحسن الحظ فإن الغلطة لن تتكرر.»

«لا أفهم...»

«اني حزين على نفسي، اذ تقمصني برودة الأعصاب، لكن ما تقولينه الآن يعفيني من ضرورة الاعتذار منك. في أي حال أنت امرأة لا تستحق الاعتذار. فأنت لا تهتمين إلا عن الملذات المادية، وأنا سعيد بأن أعلمك ذلك وذلك لأحرر نفسي من أي دين لي نحوك.»

وراح يشد حبل معصميه محاولاً كبت غضبه. وكان حق يشك، أن يقول أكثر من ذلك، لكنه تحامل على نفسه وخرج من الغرفة بعد أن صفق الباب وراءه بشدة. ألقت فلورا بجسمها على السرير في حالة يأس، مقررة ألا تبكي، لكنها كانت عاجزة عن أن تكبت النشيج المؤلم الذي كان يهزها بكامله.

بعد نصف ساعة، نزلت فلورا الى غرفة الطعام. كان لويس قد أنهى تطوره. كانت قد غسلت وجهها واصلحت شعرها لكن روح الفروسية التي يتمتع بها لويس استيقظت فيه عندما لاحظ ظلالاً تحت عينيها آثار التعنيف وفي لباقة غير عادية تهض وسألها ماذا تريد أن تأكل.

«لا شيء، شكراً، يا لويس.»

وفي الحال، شعر بالغضب من الآن. إنه يعرف فلورا. بما فيه الكفاية. وهي لن تسمح له باستفزاز زوجها. لكنه قرر أن يحدث الآن وبطلعه على حزن زوجته العميق.

قالت وهي تلتفت نحو الباب باستمرار، كأنها تخشى أن ترى زوجها يدخل منه:

«أتسمح لي بفنجان قهوة؟»

«بكل تأكيد.»

راح يصب لها القهوة. ثم قال فجأة:

«هل كاشف أخبرك أن تقولي لي شيئاً؟»

هزت رأسها. فعقد لويس حاجبيه ثم قال:

«سأذهب الى الغطرة هذا الصباح. على انتظاره. لكنه ليس هنا ولن انتظره أكثر من ذلك. هل تعيين مرافقتي؟»

أحس بالارتياح يرتسم على وجهها المضطرب. ولم تنتظر لتكمل قهوتها، فنهضت وتلعثمت وهي تقول:

«نعم. يسرني ذلك. سأصعد الى غرفتي لأضطجع حتى يحين موعد ذهابي. سأعود في الحال.»

قال لويس وهو يضحك من نفاد صبرها:

«انتظري! هذه قهوتك...»

لكنها كانت قد خرجت من الغرفة.

كانت السيارة تقودها وسط حقول الزهر وخصوصاً الورد والياسمين والقرنفل التي يعطر أريجها الهواء. وبدا فلورا منغمسة في أفكارها. كان لويس يجدلها بلا رابط عن صناعة العطور، ولحسن حظها لم يكن ينتظر منها أي تعليق. لم يكن عقلها يسجل إلا القليل مما كان يقوله، لكنها لم تمنع من الاستغراب حينما قال لها إن ليترا واحداً من

العطر يحتاج الى سيمفونية زهرية.

قال لويس وهو يبتسم بخفة.

«في العالم، خمسة عشر شخصاً يستطيعون التمييز بين ستة آلاف نوع من العطور، ومن بينهم ست أشخاص يعيشون هنا في غراس.. وبالمناسبة، الآن هو من بين هؤلاء الأشخاص.»

«وأنت، يا لويس؟ اني متأكدة أنك تتقن مهنتك جيداً، لكن لا أعرف لماذا تبدو كأنك لا تريد الاقرار بذلك.»

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال:

«في كل الالتزامات التي حققتها كان الآن أقوى مني. فرأيت أنه لا جدوى من منافسته. فقد أعطى منذ سنوات عديدة، أني لن أكون سوى تريفيل من الدرجة الثانية. والد الآن ووالدي كانا توأمين. ورث والد القصر والممتلكات، بينما والدي كان عليه أن يكتفي بما تركوا له. وذلك لأنه يكبره بعشر دقائق. كنت لا أزال صغيراً عندما قتل أبي وأمي في حادث طائرة. والكونتيسة التي أناديها الآن، امي، جاءت بي الى القصر، ومنذ ذلك الحين، وأنا اعيش هنا.»

ثم أضاف بسخرية ومرارة:

«لكن الآن هو الأساس وأنا لست سوى الظل.»

فجأة الحزينة أثرت في فلورا كل التأثير. فاجتاحت أمامه لتؤكد له في الفتاح:

«ليس هذا صحيحاً، يا لويس، وأريدك أن تعدني ألا تفكر هكذا بعد الآن.»

لم يعد لويس قادراً على السيطرة على برودة اعصابه أمام اهتمام فلورا الصادق، وإذا به يشدها نحوه ويعانقها. لكن فلورا

ابتعدت عنه في الحال، وأمسكت بقوة السيارة التي لم يعد يسيطر عليها لويس، لكنه سرعان ما استعاد منها.

«اني متأسف، يا فلورا، متأسف جداً. لقد تصرفت بتحريض من عواطفي أمام لطفك وحنانك. أرجوك أن تسامحني.»

وللمرة الأولى في حياته، يهتم بصدى ما يمكن أن تفكر فيه المرأة. وبالنسبة اليه، كانت فلورا تشكل كل ما كان يبحث عنه. وما يعذبه في الأمر أنه اكتشف المرأة الثانية. لكنها زوجة ابن عمه، هذا الرجل الذي لا يشعر سوى بالغضب أو الاثارة. انه لا يملك يعامل زوجته في استهتار ولا مبالاة كما يعامل بقية أفراد العائلة. وهذا ظاهر على وجه فلورا بالذات.

وتأكدت فلورا أنه نادم على ما قام به، فسامحته فوراً وقالت له بنبرة مزعوجة بشيء من الرقة:

«اني أسامحك، شرط ألا تتصرف هكذا بعد الآن.»

ارتجفت شفتا لويس في ابتسامة، وعيونها ابتسمت. وسرعان ما زال التوتر بينهما وراحا يضحكان معاً من ضعيم قلبهما. فاضطر لويس أن يوقف السيارة الى جانب الطريق، وبينما انتهى نوبة الضحك، وما أن استعاد لويس رباطة جأشه حتى مسح عينيه الدامعتين وأعلن في حزم:

«شكراً، يا زهرتي الجميلة، لقد أرحت اعصابي. إن نهاراً من دون ضحك هو نهار ضائع.»

لمعت عينا فلورا وتبدت أذكارها الحزينة، فرفعت بابتسامة حنانية:

«وأنا أيضاً كنت بحاجة لهذا، يا لويس.»

«إذاً، أنا سعيد لأنني استطعت أن أقدم لك خدمة مفيدة. علّ أن أعاملك كما رأيتك حزينة وبائسة.»

عادت الى الضحك من جديد واستعدت للاستفادة من بقية الرحلة. كانا لا يزالان في مزاج رائع عندما وصلا الى خراص. كانت السيارة تعبر جادة واسعة تظللها أشجار الدلب وتطلّ على حقول الزهر فسأل رفيقته:

«ما رأيك بهذا المنظر؟»

«انه لا شك رائع... غريب... انه لا أجد الصفات المناسبة لأصفه للذه. «اسمعيني يا فلورا. لست في حاجة الى أن أذهب فوراً الى العمل. دعيني أطوف بك الاحياء القديمة.» اني متأكد من أنها ستعجبك. بعدئذ، يمكننا أن نتناول طعام الغداء في مطعم أعرفه جيداً، حيث يقدمون أفخر المأكولات اللذيذة في المنطقة. ما رأيك؟»

لم يكن فلورا في حاجة الى جهد للاقتناع بفكرة لويس. كانت الشمس حارة والسماء شديدة الزرقة وكان لويس رفيقاً لطيفاً. وفوق ذلك كانت تحتى أن تنتقي الآن في القطرة. هزت رأسها ايجاباً، تشكرها مفيلاً أصابع يدها وراحا يتمشيان برشاقة. يدها في يده. ثم تسلقا درجاً عريضاً أخذهما الى المدينة القديمة.

كان لويس دليلاً رائعاً. أراها المنازل العائدة الى القرن الثامن عشر، ذات الأعمدة المتقاربة الأقسام. وزارا معاً كاتدرائية قديمة العهد، ثم قنصلية في الأزقة الصغيرة الرائعة. أمام كل باب درجات مبنية من الحجارة. وكل درجة مزينة بالنباتات الزهرية التي تتسلق حتى قارعة الطريق. وأمام بعض المنازل، النساء المسنات يرتدين الفساتين الطويلة السوداء وفوقها المراويل البيضاء، وعلى رؤوسهن قبعات من

الحرير الأبيض، يراقبن الأولاد الذين يلعبون على الطريق. كانت فلورا مسحورة أمام كل هذه المشاهد. وأخيراً توقف مطولاً أمام الحوانيت الصغيرة حيث يمكن للانسان أن يجد ما يريد من الأشياء النحاسية، الى الجواهر القديمة وحتى النوعات القديمة. لكنها فوجئت عندما سمعت لويس يقول:

«علينا أن نتناول طعام الغداء قبل الذهاب الى المعمل. أعدك بأن أصحبك مرة اخرى الى هنا، ما دمت تحبين هذا الحي القديم.»

تنهدت فلورا:

«يا إلهي! هل أنت متأكد أن هناك وقتاً لتناول الغداء؟ ألا يجب أن نذهب فوراً الى المعمل، ربما يحتاجون اليك هناك؟»

لكنه كان مصراً على أن يأخذها الى هذا المطعم ويدعها تتذوق الطعام الجيد.

كان جمال المكان لذيذ الطعم، بحيث فقدت فلورا شهيتها لتناول الوجبة الثانية. وبدأت تقلق بعدما مرّ على وجودها في المطعم زهاء ساعة. لكنها أدركت أن لويس لا ينوي الذهاب. راحت تحاول اقناعه بمغادرة المكان فرضي مرغماً. كان لويس متعباً لقرط ما أكل وشرب. وكانت فلورا ممسكة قلبها بيديها طول الطريق حتى وصلا أمام بناء ضخم مبني بحجارة القرميد وعلى مدخله كتب بأحرف مذهبة «مطورات تريفيل».

ولرغبتها الشديدة في الترجل من السيارة، لم تلاحظ أن سيارة توقفت ورائهما من دون أن تحدث ضجة. فالتفتت لترى سيارة صوت سولانج.

«ها اننا وصلنا أخيراً! لقد فتشت عنكما في كل أنحاء خراص.»

التفت سولانج في خبث وسوء نية مما جعل فلورا تتعثر

بالترف والاشتراك.

وأضافت سولانج بلذة ظاهرة:

«إن الآن خاصب بشدة».

تركت لويس يدخل الى المصل، وتبعت سولانج ثم تسللتا سلماً من الحجارة يصل الى المختبرات حيث يعمل الآن طيلة الوقت. وكانت سولانج تساعد منذ الصباح.

«عندما عرفنا أنك ولويس خرجا، قررت أن أحطمب. الآن الى هنا. كنا نأمل ان نجدكما لدى وصولنا. وكان الآن في حاجة الى أحد يساعده في وزن مختلف العقور. وبما أنك لم تكوني هنا، عرضت عليه مساعدته. في أي حال، من الأفضل ألا تكوني هنا. قلت يا عزيزتي على معرفة بهذه الأمور، مثلي أنا. واسمحي أن أقول لك، أنك كنت أزعجت الآن بوجودك أكثر من مساعدته».

لم ترد فلورا، فتابعت سولانج تقول:

«ولكني سبب آخر في مساعدتي له في هذا المشروع. إن الاختراع الذي يعمل عليه سيكون طرقة رائعة. كان قد وصل تقريباً الى الشيخة النهائية عندما فصل له الحادث».

ثم أضافت بعد أن أطلقت زفرة امتنان عميقة:

«انه عطر خاص بي».

كانتا قد وصلتا الى أعلى السلم، لكن سولانج توقفت عن الصعود، إذ كانت مقررة أن تفهم فلورا عن الدور الكبير الذي تحتله في حياة الآن.

«ستجدين الآن جسداً بعض الشيء، يا عزيزتي. وخلال الغداء أظهر استياءه من شبابك الذي طال... وغياب لويس. حاولي ألا تلومي إذا أظهر بعض الغيرة. لقد سبق له مرّة أن شكا في المرأة التي كان يحبها

وأتهمها بالخيانة، ومن ثم، لم يعد يثق في أحد».

رمقت فلورا قائلة:

«المرأة التي كان يحبها؟ هل تعنين بذلك، انت يا سولانج؟»

ثالت الفتاة، وقد فرحت:

«هل انت على معرفة بذلك؟ هل أخبرك لويس؟»

هزت فلورا رأسها وتغيرت تعابير سولانج بشكل كامل. وظهرت وقسوة برهيف.

«اني الآن كلي أفكر بالأمر. كنا، الآن وأنا، ننوي الزواج بعد شهر من الحادث. وليلة الحادث، جاء من يقول له ان لي عشيقاً».

تحطم صوتها، لكنها تصنعت وتابعت بشجاعة:

«انها كذبة بالطبع منذ أن قلت خطوبتي. الآن، لم أفكر بأي رجل آخر لكن الآن رفض أن يصدقني وفسخ الخطبة».

واسعت عينا فلورا لأنها لم تصدق ما تقوله سولانج التي أدركت بأن فلورا ستقاطعها، فأكملت تقول بسرعة:

«رواح يقول للجميع إنني أنا التي تركته وذلك ليواعيني، لكنه هو الذي فسخ الخطبة. ورفض أن يحدث أحداً بذلك حتى والدته. ولا شيء مما قلته غير رأيه في قراره...»

كانت الحنق في فلورا كأنها تريد اختراق أفكارها وتابعت:

«هل تفهمين الآن لماذا عليك أن أعتني لما تقولينه وبما تفعلينه مع الآن. إنه يعني وضعه بصورة مؤلمة ويغار جداً حتى ما يملكه».

ارتعشت فلورا للفكرة أن الآن رجل متزوجة. ولم تفهم كيف أنه فضل أن يثق بأقوال شخص آخر غير سولانج بدلاً من يثق بالفتاة التي ينوي الزواج منها وكانت سولانج تبدو صادقة في كلامها

ومن المستحيل عدم تصديقها. كيف يمكن لأحد، الذي أحب سولانج كثيراً، أن يرفض الاستماع اليها عندما شاءت أن تقدم له البراهين؟ لماذا أصبح في هذه الزاوية وهذا الشكل؟ وسمعت فلورا كلمات والدها ترن في الأنبوب: لقد أصبح هذا الرجل مثل الثمن الآلي، لا حس فيه. والذي تشعر بأنه أصيب بجرح عميق، ليس فقط جسدياً، بل ان كل الأحاسيس في أعماقه ماتت.

وضعت فلورا يدها على فمها لتمنع صرخة ألم. انها تتألم من أجله، هو الذي تعذب نفسياً من تصوره لخيانة سولانج له، أكثر ضعفاً من العذاب الذي تحدثه أدوات الهزاج كانت فلورا تعرف جيداً أن الآلهة أسباباً أخرى غير التي أعلنتها من أجل أن يتزوجها، وهي تعرف جيداً ما هي تلك الأسباب. كان يريد أن يضع سولانج أمام الأمر الواقع، يواجهه من أي امرأة كان. للانتقام من حبيبته. التي يعتقد أنها خانته يوماً مع رجل آخر تزوج منها لأنه في حاجة الى حامل بذيه جاذبية الفتاة التي ما زالت تؤثر فيه، وكذلك لملء الفراغ الذي تركته سولانج في حياته. وأمام هذا الاكتشاف شعرت فلورا بنفسها ينقطع. لقد هجرته هذا الصباح، لا شك أنه كان في حاجة اليها لتساعده في عمله، فاحتقرته الى اللجوء الى سولانج!

«أين الآن؟ يجب أن أراقبه.»

بدت فكرة جداً مما جعل سولانج تبتعد تاركة لها المجال لأن تعبر الشر.

أضافت فلورا تقول عندما رأت أن سولانج تتبعها:

«أرجوك. أريد أن أتحدث اليه بمفردي.»

قطبت سولانج حاجبيها، لكن أمام قرار فلورا، أدركت أن لا

بديل للمقاومة. هزت كتفيها وعادت الى نزول السلم. ودقائق في شجة لمن.

«عظيم. سأكون مع لويس انا طليقي الآن.»

لكن فلورا كانت قد اختفت داخل المختبر.

وجدت الآن يتحدث مع رجل شاب يرتدي مريولاً أبيض، ويعصب بدلة من قرنفلة سوداء، كمية صغيرة جداً من سائل ما. فتاني مفتوحة حول طاولة العمل. وتذكرت فلورا ما أخبرها لويس عن مجموعات الزيوت الأساسية التي يختار منها كل المحتويات التي ينوي استعمالها للتجارب. أنابيب مخبرية، مصاف كيميائية، منظرات، كلها موزعة على طاولة العمل المغلفة بألواح زجاجية خشنة.

وقال بالرجل يكلم الآن ليخبره عن وصول امرأة راح يصفها له. وشعرت بانقباض. الآن التي رد على مساعده بدون الالتفات نحوها نظر اليها الرجل وقدم اعتذاراً، وخلع مريوله راخياً تاركاً العروسين وحدهما.

انعكست فلورا في خجل مثل فتاة تشعر بالخطأ الذي ارتكبته والمحاول الاعتذار، حين قالت:

«التي أسفة للتأخير. ربما كان يجب عليّ أن أعلمك في الصباح أني سأذهب مع لويس. لكن لماذا لم تنتهي أنك ستكون في حاجة الى مساعدتي. لم أفكر بما فعلته.»

التفت فجأة، رافعاً رأسه بقطرسية وقال بنبرة متهمة:

«لم تفكري بما فيه الكفاية.. أو بالعكس. لقد فكرت أكثر مما يجب. التي أعرف الأساليب التي يستعملها ابن عمي قياد الجنس اللطيف. وللأسف، لن يعجبك اذا قلت ان المال يفتحه. لديه فقط ما يكفي

لأرضاء ذوقه الغريب. ويجب علىّ أن احذرك بأنك، اذا كنت تزمن الاستفادة من أموالك، فانت تضيعين وقتك سدى.»

كانت كلماته بمثابة صفعة على وجه فلورا. فابتلعت احتجاجها وبقيت مسمّرة جامدة مكانها. لا فائدة من التعبير عن جاهتها لتؤكد له صدقها وتقنعه بأنها نادمة على اختيار رفقة لويس، بدلاً من رفقته هو بالذات. إنه لن يصدقها، لكنها كانت على وشك أن تتورط له ما حدث. إلاّ أن صوت الآلة أوقفها عند حدها. فقد التفتت نحو خادمة العمل، ببحث بيده عن ثوب، لم يتمكن من العثور عليه. أطلق شتيمة وقال:

«إني في حاجة الى سولانج. أرجوك ان ترسل وراءها حالاً. ثم اطلبي من أحد العمال ان يأخذك الى القصر. لا تختاري لويس، لأن وجوده هنا ضروري، لديها أعمال كثيرة نريد أن نحققها. كما أني لا اريد منك ان تشجعيه على الكسل.»

قامت فلورا بجهد كبير لتزدّ عليه في عزة نفس، لكنها لم تكن قادرة على اخفاء ارتجاف صوتها كلياً:

«عظيم. سأفعل ما تطلبه مني. لكن لا داعي لأن تتعصبني بهذه الزعنفة أي كان. ليس في نيتي منع لويس من العمل. أو منعك انت. الى اللقاء يا آلان.»

كبحت الدموع التي كانت تحرق جفونها وتابعت تقول:

«سأخبر سولانج انك في حاجة إليها، قبل الذهاب الى القصر.»

خلال الأيام التالية، حاولت فلورا أن تتحاشى الالتقاء بآلان قدر المستطاع. كانت تنتظر أن تغادر السيارة التي تحمل آلان، لويس وسولانج، قبل أن تتوجه الى غرفة الطعام لتناول الفطور.

وفي الصباح كانت تذهب الى حقول الزهر، حيث العمال واستعمال القطافين. فهي هنا، كان حضورها بالنسبة لها، آلان ولويس وسولانج لن يصحوا إلاّ قبل موعد الغداء بقليل. وفلورا ستتناول طعام الغداء، مع الكونتيسة. وبعدها، تمضيان ساعة من الوقت تتحدثان وهما جالستان في الحديقة، الى أن يحين موعد الكونتيسة الأم في الفيلا، الى القيلولة الغائبة على قليها. إن العطف والحنان والنجدة التي كانت الكونتيسة تكنها لفلورا، كانها بمثابة جزاء لعواطفها الجريحة والمهانة. وكانت بدورها توفر لها الحنان بالمقابل وذلك في شوق وحماسة عائدين الى سحر وتفهم هذه المرأة العجوز، ومن جهة اخرى الى الوحدة القاسية التي تشعر بها فلورا. كانها فكّرت بوالديها والحب الذي أحاطاها به.

وخلال إحدى الجلسات، أظهرت الكونتيسة شعورها بأن الأمور بدأ أخيها وغريسه تبدو وكأنها تسير على ما يرام. كانتا جالستين في الحديقة، قرب سبيل ماء، عندما حدثت الكونتيسة في عينى فلورا اللامعتين وقالت:

«لست سعيدة، ابنتي. كنت أمل أن طبيعتك سوف تؤثر على. آلان، لكن أرى أنّ العكس هو الذي حصل. إن طبعه يدأ يدخل الى قلبك.»

كانت فلورا على وشك انكار ذلك عندما أضافت الكونتيسة:

«لا تنكري ذلك، يا حبيبتي. انك تبذلين جهداً كبيراً لتظهري بمظهر المرأة المرتاحة. لكن، حتى في الراحة، يبدو وجهك الناعم متوتراً. إن ابني زوج صعب أليس كذلك؟»

اصفر وجه فلورا فجأة. فاصفرّت الكونتيسة.

«سامحيني إذا كنت متألمة، يا صغيرتي. إني فعلاً امرأة لا يغفر لها

قالت فلورا وهي تحاول أن تبتسم:

«لا تقل ذلك، يا أمي. إني أعرف أنك تقفين على الأقل وأنك تريدين له كل السعادة. لكن للأسف، أخشى أنه لن يجد سعادته معي.»

قالت الكونتيسة في التتاع:

«لماذا، فلن يجدها مع أحد. كنت أتمنى أن أرتاح الآن على احتمالية لزوجته، لكنه لم يعد الابن الذي كنت أعرفه، الرجل الطيب، اللطيف والرائع. وإلا لما تأخرت لحظة واحدة من القيام بذلك، لكن الولد الذي عرفته وأحببته ضاع الى الأبد.»

احتجت فلورا في التتاع:

«لا، يا أمي. لا تدعي نفسك تصدقين ذلك! انه سيعود كما كان عندما يسترجع بصره. إن في وسعنا اقناعه بأن عملية أخيرة ضرورية له.»

تألق وجه الكونتيسة وقالت:

«لماذا، يجب أن نحاول ذلك، يا حبيبتي. يجب أن نجد طريقة لاقناعه. آه، وأنت يمكننا إنجاز هذه الطريقة.»

وأخذت الكونتيسة يد فلورا بينما التامعة وشعرت الزاد الشابة بأملها ينتعش كما عجزت وذلك بفضل الجهد الذي قامت به لتبدو قدر عزيمة المرأة العجوز وبشاشة متجلدة. استجمعت فلورا أفكارها. لا بد أن هناك هاوية أو صدعاً في بنية الآن. وعليها أن تكتشفها مهما كلّف الأمر. كان هل وشك تدميرها وفي عينيها له، أتاحت له المجال ليحقق هدفه. لكن، اذا تمكن من تحقيق سعادته، في تدميرها، فان التضحية تكون عندئذ مبرّرة.

وسمعت صوت الكونتيسة:

«كم يكون ذلك رائعاً أن أستعيد ولدي. كان الآن يذكرني بزوجي

العزيز بصورة مستمرة. إنه يشبهه تماماً حتى انه ينتهرني في أسى لم أختبر زوجي. ولهذا السبب أرى نفسي عزيزة جداً من جزاء الخادث الذي أفقد الآن، لا بصره فحسب بل طبيعته اللطيفة والكريمة.»

وأضافت حالمة:

«زوجي كان رجلاً متطلب الزاج، ينتقل بسرعة من الحنان الى الغضب وفي ظرف ثوان قليلة يمكن أن تصبيه نوبة غيرة شديدة التخريب والتدمير.»

ضحكت بعض الشيء. «ذاكريات لجعل حياتها جحيماً.

لكن بعد أن تهدأ نوبته، كان يبدو نادماً ومنسحق القلب وكان يعجل من فقدانه برودة أعصابه ورباطة جأشه وكان يقول دائماً لطلب المغفرة.

«يجب أن تحتوي ذلك بغاية مديح لك، لو لم أكن أحبك، لما كنت غيوراً الى هذه الدرجة. أي امرأة يمكنها مقاومة هذا المنطق! كان مؤثراً وعبقرياً، وغير قادر على مقاومة رغباته الطبيعية..»

أخرجت زفرة عميقة واضافت:

«إن الآن مختلف عن ذلك. فالغضب واخذ الثأر والحيط كلها تسيطر عليه الى درجة تجعلني أتساءل ما إذا كان مجرماً من أية عاطفة..»

وخلال فترة غير قليلة، حاولت في صمت التخلص من توترها. فجأة تنهدت الكونتيسة فرفعت فلورا عينيها ورأتها تضحك، في ضحكة عميقة كانت تنعكس في عينيها.

«لقد وجدتها!»

راحت الكونتيسة تلوح في اضابعها في حيوية وانشاط كأنها لا

زالت شابة. ثم نظرت الى فلورا التي كانت متعجبة وراحت تضحك، وفاجأت كتفها قائلة:

«يجب عليك أن تجعلي الآن يغار عليك»

تمتمت فلورا وهي تقول:

«أن يغار؟ لكن لماذا.. كيف؟»

أجابت الكونتيسة في لهجة حازمة

«لأنك، بهذه الطريقة، تردين له وفي الوقت نفسه لك أيضاً، أنه ليس بالفعل الانسان الآلي وفاقد الاحساس»

وراحت تتنهد على أنوثتها:

«والغيرة هي أحد اللعب. وعندما نوقظ الأول، نكون قد أيقظنا الثانية حتماً»

شعرت فلورا أن قلبها ينقصها كل شيء. يبدو سهلاً في نظر الكونتيسة. لكن الوضع بينها وبين الآن أكثر تعقيداً مما تظنه المرأة العجوز. ففي رأي الكونتيسة، أنه يكفي إخراج الآن من اليأس الذي نتج عن الحادث، فهي تجهل أنه لم يكن للحب أي دور يلعبه في هذا الزواج القريب. ولا يمكن لفلورا ألاّ تلمي بوعدها الآن بعدم اطلاع الكونتيسة على حقيقة زواجهما. ويبدو، قالت:

«اني أخشى أن يكون مشروعك عديم الفيسة، يا أمي. لن يغار الآن على أبداً. ليس هناك أي سبب يجعله يغار ما دام يعرف أني أقضي وقتي معك أو في الحقول.»

«بعد. يجب أن ندخل لويس في خطتنا هذه.. اني اعرف تماماً أن لويس سريع التكتة. وهو حاضر باستمرار ليلعب الدور المطلوب منه. نعم، يجب علينا أن نستشير لويس بالأمر»

كان يبدو لفلورا أن عليها أن تقنع الكونتيسة بعدم جدوى تنفيذ هذا المشروع. لكن قبل أن تجد الحجج اللازمة، قالت الكونتيسة:

«يجب إقامة حفلة في القصر.»

نهضت الكونتيسة وأخذت تتمشى طويلاً وغرقاً وقالت:

«أعمدتاؤنا وجيراننا في انتظار أن تتيح لهم الحفلة لإرجاعها بحوة الآن، ويتعرفوا اليك. أنت الكونتيسة الشابة، يا ابنتي العزيزة. لقد أثرت موجة الثقاء واعتذرت لا قلت أنكما لا تزالان في شهر العسل. لكنهم يعرفون الآن أن الآن يتردد يومياً على المصنع. ولا مجال ليرفض إقامة حفلة عشاء، عندما أخبره بذلك.»

توقفت ثم سألت فلورا فجأة:

«والآن، اخبريني، هل عندك الجرأة لذلك؟»

لم تجد فلورا الشجاعة الكافية لتهدئة أعماقها وحماسها. كانت تتقزز الى حائها من دون أن تقول شيئاً. ولما صمتت الكونتيسة بدتمها علامة نفاذ الصبر، همست فلورا تقول:

«عظيم، اذا كنت تعتقدين أن ذلك يعطي النتيجة المرجوة.. لا مانع من التجربة.»

استرخت العجوز وقالت ببساطة:

«لن يتأخر الآن في أن يجد فيك كل اللطف والسحر، يا عزيزتي. ولا شك أنا متى وصلنا الى غايتنا، فلن ندعه يشعق على حاله وسوف يرغب حينذاك باستعادة بصره، إذاً لن يجوه غادراً على تحمل أي عائق في طريقه.»

قالت فلورا بصوت ضعيف:

«آه، يا أمي، أمل ألاّ تكوني مخطئة. إني أود ان يحصل ذلك من كل

قلبي.»

انحنت الكونتيسة ووضعت يدها على ذقن فلورا وشاهدت الدموع في عينيها وقالت بلطف:

«لا تذرفي الدمع، يا صغيرتي، إلاّ اذا كانت دموع الفرح. هيّا امسحي عينيك، هناك شيء أريد أن أريك اياه.»

نهضت فلورا فتأبطت الكونتيسة ذراعها وأدخلتها الى القصر ثم قالت:

«صباح اليوم، طلب مني الآن أن أريك جواهر العائلة، كي تختاري منها ما يناسبك. كنت قد نسيت، لكنني تذكرت الآن. انني متأكدة من انك توافقين على أن هذه البادرة من جانب الآن بشير خير.»

لا للأسف. هذا ما كانت فلورا ترغب في قوله، وهي تتبع الكونتيسة في اتجاه المكتب. إن الكونتيسة لا تعرف أن الآن يريد من إعطائها الجواهر تسديد الدفعة الأولى من الدين الذي يعتقد أن فلورا تستحقه.

٨ ـ متحدان... منفصلان دائماً!

اللآلىء البيضاء، كلون الحليب، متناسقة على الوجه الأكمل، وتشكّل حبات عقد طويل يصل الى الخاصرة. وطقم من المجوهرات المصنوعة من الماس واللؤلؤ مؤلف من تاج وعقد وحلق وأساور، يحيط على الجبين الأسود، وأنوار مختلفة من الحلي، كأنوار الأسود والياقوت الأزرق، والزمرد، مركبة على الذهب الناعم، تشكّل مجموعة متناسقة من الحوائم والعقود والأساور والحلق والبروشات. لقد أخرجت الكونتيسة كل ثروتها من صندوق مجوهرات كان مخزوناً وراء جدار في غرفة المكتبة، وفتحت معظم العلب بعد أن وضعتها على الطاولة أمامها. وأمام هذه الروعة، تراجعت فلورا الى الوراء، الى حدّ الاشمئزاز.

كان يمكن ان تفرح أمام غنى الألوان، وأمام نضارة الرسوم في هياكل الحلي. لكن بالنسبة إليها، كل لؤلؤة هي دمعة، وكل حبة ماس تذكرها بقسوة عيني آلان.

قالت الكونتيسة وهي تهز رأسها:

«أية حلية تفضلين، يا حبيبتي؟»

تلعثمت المرأة الشابة:

«إنها كلها رائعة حقاً، يا أمي. انها شديدة الجمال الى درجة أني لا أستطيع وضعها عليّ. سيتملكني خوف كبير اذا اضعت شيئاً منها.

بهذا أنهت الكونتيسة تمريضها، وستعتادين بسرعة ارتداء المجوهرات الثمينة والقيّمة. إن جيراننا يستغربون كثيراً وعليك أن تلبي دعواتهم. لنرى، وتذرّر معاً أي نوع من الحلي يناسب جمالك الناصع.»

لكن برغم رغبتها القوية في إرضاء الكونتيسة، لم تكن فلورا قادرة على أن تظهر حماساً حقيقياً. وسرعان ما شعرت المرأة العجوز بعدم اهتمام كنتها بالأمر وفي ارتباك هزت الكونتيسة الأم كتفيها وأعادت الحلي الى علبها وأغلقتها بخشونة، تعتر بها من خيبة املها.

شعرت فلورا بأنها جرحت شعور حماتها وأرادت أن تخفّف من خيبتها. وفي إحدى العلب الخفية في طرف الصندوق وجدت مدالية صغيرة من الخزف الأزرق، تحملها سلسلة ذهبية نحيفة. مدّت فلورا يدها مصطنعة الغلظ وتناولت المدالية وقالت بنبرة نادمة جعلت الكونتيسة تضحك بالرغم منها:

«هذا، هذه المجوهرة تعجبني.»

تناولت منها المدالية وقالت:

«هذا إنها تكريماً من دون قيمة تذكر، يا ابنتي! لقد أهداني إياها لويس، منذ سنوات عديدة، في مناسبة عيد زواجي. وأعتقد انه منذ ذلك الوقت والمدالية هنا.»

كانت المدالية تتأرجح في طرف السلسلة. تحدثه بريقاً أزرق تحت

تأثير نور الشمس.

قالت فلورا بارتباك:

«هذا يعني أن عليك أن تحتفظي بها داخل العلبة.»

«كلا، اني مغتبطة لأنك وجدت شيئاً يناسبك، يا ابنتي الصغيرة العزيزة.»

كانت تشير الى نقش على الميدالية يقول: «متحدان، لكن منفصلان دائماً».

شعرت فلورا بقلبها ينبض بسرعة مؤلمة. يا لهذا الماكر، الذي أرادها أن تختار بالضبط ما يحرّجها عن الوضع الحالي بينها وبين الآن.

الكوب الخزفي الذي كانت ترتديه في السهرة، كان في حاجة الى نهر، يخفّف من حدته. وكانت المدالية الصغيرة تؤدي هذا الدور بشكل رائع. ورأى لها أن كل زفرة تخرج من صدرها هي صدى للكلمات المنقوشة على المدالية التي لا تراها العين بقدر ما هي محفورة في القلب بأحرف نارية:

«متحدان منفصلان دائماً»

الآن وهي كانا في ليلة غرامها الساكن واهناً. لقد نبض قلب زوجها فوق قلبها في حرارة، لا تزال حتى اليوم، تترك آثارها على شفتيها المحمرتين، وفي جسمها المتشوق. وإذا لم تبق لها إلاّ ذكرى تلك الليلة، فلن تندم. حتى وان اضطرا في المستقبل الى أن يبتعدا، فستظل خطوات الانحسار الكلي ملازمة إياها الى الأبد.

أغمضت عينيها لتبعد عنها تداعياتها المنعكسة في المرآة. وظلت جامدة لفترة طويلة، تحاول أن تميز الدموع التي تتدفق من عينيها

دخل ألان من دون ضجة. وعندما سمعت فلورا صوته انتفضت مذعورة.

«كنت مع والدي منذ برهة، وأخبرتني أنه لم تعجبك أي من الخلي والمجوهرات.»

التفتت فلورا اليه ومن دون وعي وضعت يدها على الميدالية الصغيرة الورقية، كأنها تعويذة تحميها من الخطر، وقالت بصوت صغير عن خجلها الطفلة:

«بالعكس، إن الخلي ذات جمال رائع، ولكن بالطبع لا يمكنني وضعها بدون خوف من إضاعتها. يجب... يا... ألان، ألا تنسى أني فلاحة من قرية صغيرة، ولست معتادة على هذا الغنى. أرجوك ان تفسح لي المجال حتى أعتاد ذلك.»

كانت تنتظر منه جواباً ساخراً، لذلك حبست نفسها، لكن صوت ألان كان يحمل فقط الأمن الحنان:

«اينتها الفتاة المسكينة البسيطة، لماذا تعذبين على هذا النحو؟»

وأمام هذا اللطف الذي لم يعودها عليه، انسعت عينا فلورا الزرقاوين فلفاً. اقترب ألان منها، فتراجعت الى الوراء بعنف جعلها تسقط الكرسي الصغير، الذي اصطدم بالطاولة، فتلاشت فوارير العطور محدثة ضجة عالية. وعندئذ، وضع يده في جيبه، كأنه يعلن الهدنة.

شعرت بالندم وتقدمت منه، تنوي ملاءسته، لدهشته شعوره من دون كلام. لكن وجه ألان الجميل الساكن تجمد، واعتلى الخدد المزمت شفتيه وقال:

«لا داعي للتهرب مني! لقد جئت لأراك. بناء لطلب أمي التي ترى

أني أعيلك، وهي تجهل انك تقضين لاصالتي على احتياطي، ولا أريدها أن تعرف هذا.»

ارادت الاحتجاج لكنه تابع يقول:

«لقد أجبرتني على قبول مشروع آخر، لا يعجبني أبداً، لكني وعدتها بأن اشترك فيه. سوف تقيم حفلة عشاء كبيرة من أجل أن يتعرف أصدقاؤنا وجيراننا الى الكونتيسة الجديدة، والتي ستساعدك في تنظيم كل شيء. انها مغنية رائعة، وليس لك سوى ان تنهي تصالحها مأنيهك في اعماق داخل المخبر، في هذين الأسبوعين ولن يكون في استطاعتي مساعدتك، لكني متأكد انك واثقة سوف تديرين الأمور بنجاح، وبذلك تطمئن والدتي على موقفي تجاهك، وستكونين، بالنسبة إليك، فرصة رائعة لتعتادي وضعك الجديد. وفي المقابل، الجميع يكونون فرحين.»

راحت فلورا تقول لنفسها وهي تحدق فيه، انها لم ترَ في حياتها انساناً أنحس منه. ويبدو أنه حتى وجود سولانج الدائم واستعادة صداقتها القديمة، غير كافيين لازالة التعاسة من نفسه.

«سوف تنزل معاً الى قاعة الاستقبال.»

وقدم لها ذراعه لتأبطها، ومن دون همسة وضعت أطراف اصابعها على كم بذلته البيضاء. فتقلصت عضلات ذراعه تحت تأثير هذا الضغط الخفيف، كأنه يحاول كبت أي ردة فعل يمكن اعتبارها دليل صداقة.

وخلال العشاء، لم تستطع فلورا التوقف عن التفكير بالخطة التي رسمتها الكونتيسة، في النهار ذاته. فقد اخلفت لويس على الأمر، وما إن جلست فلورا على الطاولة حتى بدأ لويس يغازلها،

انحنى صوبها وغمس نظره في نظرها وهمس قائلاً:

«هذا مديح منك وانطراء. أنك أربت ارتعاد، هذه المدالية، التي هي اسهام متواضع مني لتكسوز تشريفيل على هذه الدالية بالسفات أعجبتك. او لأنني أنا من اشتراها وأنت تعرين الذي اختاره أنا؟»

فوجئت فلورا ولم يحسن لها الوقت لتجد رداً عليه. فأخذت الكونتيسة الكلام عنها. ومن دون أي ارتجاف في صوتها، أعلنت في صوت عال:

«أعجبت فلورا هذه المدالية، منذ اللحظة التي وقع نظرها عليها، يا لويس. فقد أهملت كل ما تبقى من جواهر لصالح جوهرة صغيرة أهديتني اياها منذ زمن بعيد. هل أنت حاقد علي لأنني تنازلت عنها للفورا؟»

«أنا، بالعكس، اني مبتهج، يا أمي. لقد اعطت فلورا الحياة لتلك المدالية التي احسدها لأنها معلقة على صدرها.»

احمر خدا فلورا بشدة، ولم تستطع تجاهل الآلان، الذي كان يبدو هادئاً يصغي الى الحديث بدون اهتمام. لكن فلورا لاحظت أن يديه تحاولان السيطرة على النفس. أما سولانج، اليقظة باستمرار، فقد قالت في نبرة ساخرة وعيناها محدقتان في وجه فلورا المحمر خجلاً:

«يا فلورا المسكينة! لا داعي للارتباك الى هذا الحد. ان لويس يحب التنكيت ويجب عدم اعتبار كلامه جدياً، خاصة من قبلة بسيطة مثلك.»

ثم التفتت نحو لويس وأضافت:

«لكن يجب الاعتراف أن مزاحك لم تأتِ سعيد. إن وجنتي فلورا الورديتين وعينيها اللامعتين، تجعلها جميلة. أليس كذلك؟»

ومن دون أن تدري، كانت سولانج تشارك في المؤامرة وكانت الكونتيسة الام مبتهجة فقد الأمر فتاة مزيدة.

«كلامك صحيح يا سولانج.»

ثم وجهت كلامها الى لويس:

«ويدون يا لويس، أنك فقلت موهبة إيضاح. فلورا، فهي تبدو شديدة السعادة من خلال الطاولة.»

«في المقابل، اني أتابع باستمرار بالخوف الرفيع لأسعاد النساء الجميلات.» وان جمال فلورا هو نادر وفريد من نوعه.

وفي غضب مفاجئ، وجه حديثه الى الآلان:

«أليس مزعجاً للغاية، يا ابن عمي العزيز، لأنسان مثلك أن يملك زوجة ذات جمال يحسده عليها كل الرجال، وهو خير قادر من الاستمتاع بها كلياً، لو كنت مكانك لما تحملت يوماً من الاستمتاع بالمرأة التي أملك.»

قالت الكونتيسة في نبرة احتجاج

«لويس!»

كانت تريد افهامه أنه ذهب بعيداً، لكنه اكتفى في هز كتفيه من الضجر، بأي ندم واضح يقول:

«هل انت من رأيي، يا الآلان، أو أنك متألم من التكيت والحرمان؟ لو كنت مكانك...»

وبحركة مقصودة، طوى الآلان فرملته. كانت فلورا ترائيه في نظرة قلقة عندما قال بصوت مزعزع:

«لو كنت مكاني، يا لويس! لكن هذه الأمنية ليست جديدة بالنسبة اليك، أليس كذلك؟ انها تعذبك مدى الحياة. لو كنت مكاني، لتسلحت

ادارة أعمالنا وكل الأموال التي تريد صرفها. وكم نحن سعداء أنك لست مكلفاً. لن يتسنى لك المجال أن تضع يدك على الأموال، وعلى القصر... ولا حتى على زوجتي».

كانت عيناه، كأنهما في نعلة باردة.

نهضت فلورا العقارة التي اكتشفتها فجأة بين الرجلين ترجمها: «لا، يا ألان، يجب ألاّ تتكلم بهذه اللهجة! أنت لهجت خطأ. يحاول لويس أن يفيدك».

«نفسه».

كان يتحداها ان عاكسته. كانت تريد لبثي هذا التحدي. ربما كان لويس انساناً ضعيفاً، لكنه ليس الرجل الفسال كما يراه ألان. لكن الكونتيسة تدخلت:

«ألان، لويس».

كان صوتها هذا كالحديد.

«سوف تنهيان هذا المشهد المؤسف، في الحال».

لكن، في غضب لا يراعي شعور أحد، نهضا وجهاً لوجه، كأنهما على استعداد للمبارزة. بينما كانت الكونتيسة تنتظر أن يطيعا امرها. كانت عينا سولانج تلمعان فرحاً، انها امام تجربة لن تشهد مثلها في مجتمعها المتحدد. وفي هذا الصمت الثقيل، انتهدت فلورا، فالتفت لويس نحوها، وأمام تحديه، بدا خجولاً ونادماً. فقالت متمتمة:

«لويس، ارجوك».

فانتابه غضب وضحك، وبنبرة خفيفة، أعلن عن انهزامه وقال:

«سامحني يا ألان. ان كلماتي غير لائقة فأرجو أن تعتذر لي».

وبدلاً من الاسترخاء، خاب أمل ألان الذي رؤية فريسته تنهزم

منه اكتفى بأن هز رأسه للتعبير عن وعد بدء في الجهاد. سولانج حتى تلويه خارج الغرفة.

وعندما اغلق الباب، نزع لويس جسده بقوة على الكرسي، منهوك القوى، وقال بارتياح:

«أوف. لقد اعتدت للحظة أننا سنتبارز».

التفت نحو الكونتيسة التي كانت ما تزال مضطربة.

«أمي، ارجوك. لقد كانت عندك أفكار أخرى، من أجل اثارة الفضائح ألان. أرجوك ألاّ تشركني فيها. أفضل مئة مرة أن اضايق غراً ثالثاً على أن أعيش من جديد لحظات كهذه».

لكن الكونتيسة لم تبد فرحة. كانت ترتجف. جلست على الكرسي وقالت بصوت فاتر ومتهم:

«لقد أظهرت قسوة كبرى تجاه ألان يا لويس. من دون شفقة وعن قصد... وهذا لن أسامحك عليه».

ثم أضافت بصوت واهن:

«فلنذهب، يا لويس».

وأمام نظرات الكونتيسة المليئة باللوم والتأنيب، احمر وجه لويس. وراح يرتجف بارتباع. أراد أن يرد عليها، فرد يده في شعره وراح يباشر الدفاع عن نفسه اذ قال:

«فكرت أن الطريقة الوحيدة لأخرجه من قوقعته هي أن اهاجمه فيما يتعلق بعلاقته وحسب ما فهمته منك، هذا هو الهدف الضروري اصابته».

بلع وأضاف فلورا يدها على كتفه معتذراً عن تعاطفها معه ثم قالت:

«إن تصرفك وليس الكلام الذي نطقت به هو الذي جعل التوتر يدخل الى قلب أمي».

ثم أضافت والتحيرة تخالجها:

«انه تزيد مؤسف ومروع أن نراك على استعداد لخوض معركة مع ابن عمك... الاعمى».

اصفر وجهه وقال:

«اني أفهمه».

وبعد صمت قصير استطرد يقول:

«ان تهكمه يضيني أنه اعمى، أحياناً، عندما اراه يزل السلم صرخاً، أو عندما يتوجه نحو مقعد من دون ترقد. اتساءل ما اذا كان أعمى بالفعل، أو انه يتصنع ذلك ليخدعنا».

أرادتا مقاطعته، لكنه هز كتفيه:

«نعم، أعرف، أعرف. هذا مستحيل: إنه أعمى حقاً، واني أحاول لمحاولة تحذيره. لكن ما اطلبه منكما، هو أن تشرحا لي، كيف في استطاعته ان يدير أمر بيته السهولة؟ هل يملك حساً اضافياً، لا نملكه نحن؟»

أجابت فلورا ببساطة:

«انه يعد...»

رفع لويس باستغراب:

«يعد؟»

«نعم. وفي أي مكان يتنقل بهذه السهولة والطمأنينة، يكون قد عد سراً الخطوات مسبقاً. حتى انه يعرف تماماً كم هو في حاجة الى خطوات ليجتاز عدده».

بقي لويس متحيراً كالأخرس. فقالت فلورا:

«نعم، لقد سمعته. ليلة بعد ليلة، عندما يعتقد أن الجميع نائمون، يسير في الممرات وعلى الدرج في غرفته... ويعد من دون توقف. ثم يعود ويظل يعد، الى ان يتأكد من قدرته على التنقل بدون أن يخشى التعثر».

قال لويس في صوت مبحوح وجبناء تحاذان في وجه فلورا الهادىء:

«يا إلهي، ما هذه الغرائب... وما هذه الشجاعة».

تدخلت الكونتيسة وقالت:

«ما من احد يشك في ذلك، حتى ولو كانت فيه بعض النواقص. فان الآن يوجد أيه شجاع ما فيه الكفاية».

ولاحظت فلورا كانت تحاول أن تحدد اعصابها التي تحافظ عليها. لكن المرأة العجوز رفعت رأسها ووجهت للجميع ابتسامة عريضة وقالت:

«حسناً، يا اولادي. ما حدث معنا الليلة يجب ألا يفسد محطاتنا من الاستراحة».

استعاد لويس طبيعته وقال وهو يحيي الكونتيسة تحية عسكرية:

«أتفق، أيتها الكونتيسة».

لكن عندما تطلعت الكونتيسة الى فلورا، احمرت المرأة الشابة وتمتمت قبل ان تقول بتصميم:

«اني.. اني سأحاول... ما دمت متأكدة، يا أمي، من ان هذا سوف يساعد الآخرين».

٩ ـ زهرة الحب

كانت فلورا تذهب يومياً الى حقول الزهر المجاورة كأنها مزرعة منذ ثلاثة أسابيع وهي منهمكة في مساعدة الكونتيسة حل تنظيم حفلة العشاء التي جاء موعدها هذا المساء بالذات، كما كانت في الوقت نفسه ترتبط من جديد مع الأشخاص والأصدقاء الذين تعرفت اليهم من بين العاملين في المزرعة. أحبها الفلاحون وكانوا فرحين ومسرورين للأهتمام الذي منحته فلورا لهم ولعائلاتهم. وكانت تشعر عندما تكون معهم كأنها بين أهلها.

ان هؤلاء الفرويين يحبونها باخلاص. يضحون بكل شيء من أجلها. لا يعرفون لماذا. ربما لأنها خشية خلاصهم او لأنهم اكتشفوا ان المحبة أعظم من الولاء.

انها فترة ما بعد الظهر، والطقس حار جداً. ابتسمت فلورا وهي تتمشى في خطى سريعة لا تذكرت، انه منذ نصف ساعة، أعبرت عنها الكونتيسة أن تذهب الى غرفتها وتستريح، لأنها بدت متعبة

وشاحبة الوجه. حاولت فلورا اقناعها بأنها تشعر بنشاط وقوة. لكنها سرعان ما خضعت لأنحاء حالتها وصعدت الى غرفتها للتخلص من العناية الزائدة التي كانت الكونتيسة تولينها إياها. لكن الطقس جميل. السماء زرقاء منتهية والنظر المحيط يشبه باقة العروس تحيط بها دائرة خضراء من أشجار السرو العالية. فلم تتمكن فلورا من مقاومة رغبتها الملحة في الخروج الى الطبيعة.

كانت الأفكار تتجاذبها. ماذا أريد من هذا الرجل. أنا أعرف أنه يتعذب وأعرف أني أحبه. ومع ذلك أترقد لقد تزوجت منذ شهر تقريباً. وخلال الأسابيع الثلاثة التي مضت، لم تشاهد الآن إلا دموراً كانت تلمحه كل صباح من نافذة غرفتها، عندما يقودونه الى العمل. وكذلك تراه في المساء من جديد، لكن متأخراً. منذ الاصطدام الذي حصل بينه وبين لويس، تعود أن يتناول طعام العشاء في غرفته. وفي وقت سولانج، بحجة ان عمله الكثير والملح لا يسمح له بالوصول الى القصر في وقت العشاء.

وهكذا فان مشروع الكونتيسة الطموح لم ينجح. أما فلورا فقد استمتعت خلال الأسابيع الماضية أن الآن نادم على اندفاعه الذي جعله يتزوج فتاة شابة لا يعرفها.

وبلا وعي أكملت فلورا طريقها في الاتجاه الصحيح. وفوا بها تسبح أصوات الترحاب والبهجة الصادرة من الفلاحين. ولمع وجهها للحال وردت عليهم التحية. فهي تشعر بارتياح عندما تكون مع هؤلاء الأصدقاء الجدد.

امضت ساعة مرحة وهي تتنزه بين صفوف الشجيرات، تتحدث مع العمال الذين لا يتوقفون عن العمل. بعضهم، في لغة الكليزية

ضعيفة، يغمسون عليها آخر أخبار عائلاتهم ويلهثون معها كلما عجز أحدهم عن ايجاد الكلمات اللازمة في لغة لم يتعودوا النطق بها. ومع مضي الوقت، شعرت فلورا بالعوارض الأولية لصداع بدأ ينخر رأسها. وفي الوقت نفسه بدأت سقوف العمال تخف إذ إن القطارين يأخذون وقتاً للراحة كل يوم في هذه الفترة من بعض الطهر عندما تكون الحرارة في أوجها. وليلت فلورا دعوة الأم فيكتوريا الى تناول الطعام معها.

رفضت تناول الخبز والجبنة الخانة واليصل. لكنها تناولت فنجان قهوة. كانت الأم فيكتوريا تحدق فيها وهي تشرب، فلاحظت شحوب وجهها وأليمها لأنها لم تكن تضع قبعة على رأسها.

«يبدو أنكِ حرارة من شمس انكلترا، يا كونتيسة».

ثم سرحت في صمت كأن في راكضاً.

«جان بول! اذهب واسأل والدتك، اذا كان في امكانها أن تعير قبعتها الجديدة الى الكونتيسة. بسرعة! قل لها إني أنا التي أرسلتك».

احتجت فلورا:

«لا، ليس هذا ضرورياً...»

لكنها سمعت الفتاة الثلاثة، ذات العينين السوداوين الواسعتين اللتين لم تتوقفا عن التحديق في وجه فلورا، تقول في خجل:

«إن الأم فيكتوريا على حق، يا سيدتي الكونتيسة. أن تضعي لون بشرتك الناعمة».

وواللفت المجرعة التي تحيط بها على ما نالته الشمس، فاحمر وجه فلورا بشدة. وتدخل أحد القطارين ليمدح فلورا قائلاً:

«إن اسمك يليق بك، يا سيدة فلورا. واذا سمحت لي فاني اقول أن

بين كل الأزهار التي نبتت من جوك، أنت أجملها. ولدينا الآن السبب للاحتفال. ما دام السيد ألان أبهى فجاريه أولاً! الاحتفال بقدوم أجمل زهرة الى عائلة تريليل. وثانياً اختراع أذق خطر لم يسبق لعامل تريليل أن صنعت مثله».

ووضع أصابعه على شفتيه وراح يقبلها ويقول:

«آه، أي نصر حققه سيدي الكونت».

هكذا اذاً، أبهى الآن أعمالـه. ولم تجرؤ فلورا أن تقول لهؤلاء الرجال أن الخطر ليس هنا، وأن السولانج الحق فيه أكثر منها.

لجأت، احتاطت الوجوه السعيدة التي تحيط بها، بكثافة السحب في الخضاء، ولم تعد تراهم إلاّ من خلال الضباب الحار إن خطر الزهر الذبل يختلط برائحة الأجسام والثوب، وتضررت بصدم الدرجتها على الشفير، والأصوات حولها بدت وكأنها ترتعد وتضجيج أخير. ارتفعت من مقعدها وتركت القباعب تتلقفها وتجرفها في موجة لا تره.

عندما استعادت وعيها، كانت ممدة على فراش صغير، في أحد منازل القطارين الفرقة مظلمة، والخمست معمّ. والغرفة مد تسابقت فلورا أين هي. أرادت ان تنهض، لكن وجه الأم فيكتوريا المنحنى فوقها فوق رأسها.

«لا تتحركي يا ابنتي. انتظري قليلاً. دعي الوقت يساعدك لتستردي قواك».

تركت فلورا رأسها يقع على الوسادة وقالت:

«معك كل الحق في أن تواخيني، أيتها الأم فيكتوريا. لا شك أني تعرضت الى ضربة شمس».

قالت الفلاحة العجوز وهي تهز رأسها معتبرة عن الفنى:

نعم، كان علينا أن نتهيأ مسبقاً الى تأثيرات الشمس. وما سيقوله السيد الكونت عندما يطلع على اهمالنا. لا اجرؤ أن أفكر بذلك. إنه لمستحق أن يفرض علينا، لأننا اشياء.

- آه، انك لا تشك لأرجوك.

وحاولت فلورا من جديد الجلوس، لكنها شعرت بدوار، فعدلت عن ذلك. وراحت تحاول أن تخفف عن العجوز المخاوف التي تساورها فقالت في صوت خفيض:

- أنا الوحيدة المسؤولة عما حدث لي. ما كان ينبغي أن أنشر عارية الرأس في هذا الحر اللاهب. وبعد ان استريح قليلاً، سأعود الى القصر، ولا أجعل أحداً يعلم ماذا حدث.

صرخت العجوز وقد شحب لونها:

- يا إلهي! ليس ذلك وارداً. يا كونتيسة! إن أحداً من رعايانا سيقودك الى القصر. يكفي ما عانته من حالتنا. وان يبدر منا أي تقصير أو اهمال مرة اخرى! حتى ما تشعرين بالراحة وتصحين على استعداد، سنأخذك الى القصر في إحدى الشاحنات.

لم تستطع فلورا اقناع المرأة العجوز بالعدول عن رأيها فقد أصرّت على موقفها. وهكذا بدلاً من أن يكون في استطاعتها أن تدخل إلى غرفتها سراً من باب خلفي، كما كانت تنوي أن تفعل، أزلت الشاحنة فلورا أمام القصر فدقت صيحة أيقظت الجميع.

خرج الخدم ليتوهم فشرح لهم السائق ما حدث لفلورا. وفي أثناء ذلك ظهرت الكونتيسة الأم على احدى الشرفات وراحت تسأل بدورها طالبة تفسيراً مفصلاً. أتعبت نظرة الى وجه فلورا الشاحب وأعطت للحال أوامر واضحة. وقبل أن يسنى لفلورا أن تعي ماذا يحدث،

وجدت نفسها بين أسرّة الشخاص يحملونها ويضعونها في سريرها ويقفلون الستائر لأخماد النور القوي. فشعرت بألم بالغ يحفر في رأسها ويقرع كالطبل.

ثم تنبهت الكونتيسة. لكنها كانت قلقة على فلورا. وهي تتأمل وجهها الشاحب من شدة الألم، قالت لها:

- حاولي أن ترتاحي، يا ابنتي الصغيرة. فلن يتأخر الطبيب عن المجيء.

لم تستطع فلورا الكلام. كانت تنقض في حمق وتغمض عينيها.

خرجت المرأة المسنة من الغرفة على رؤوس أصابعها وأغلقت الباب ورائها من دون احداث ضجة.

استيقظت فلورا بعد ساعات طويلة. وشعرت بأن الألم زايلها، وبحذر رفعت رأسها. ثم تركته يسقط في الوسادة وابتسمت بارتياح للحظة. تساءلت ما إذا كانت حالتها ستمنعها من حضور حفلة العشاء بالنسبة إليها، لن تستفيد من ذلك شيئاً، لكن بالنسبة الى الكونتيسة، فستكون جزيئة لأضاعة كل هذه الاستعدادات التي استمرت أسابيع مضى.

تحركت في سريرها، وأوجعت عندما سمعت صوتاً سألها في عتمة الغرفة:

- هل استيقظت؟

نظرت جوفاء نحو مصدر الصوت، وشاهدت آلان واقفاً قرب الباب.

أجابت بصوت ضعيف وكأنها تلميذة في انتظار التأنيب:

- نعم، شكراً.

تكلم بصوت خفيض. وراح قلب فلورا ينبض بسرعة. وعندما

اقترب الآن. تحوطها. شبكت يديها وحاولت جاهدة أن تضبط ارتعاش جسمها. جلس على طرف السرير، قريباً منها وقال:

«ليل في إنك لم تكوني في حالة جيدة في الأسابيع الماضية. كان يجب إعلامي بالأمر قبل الآن».

وقطب حاجبيه وأضاف

«واليوم بعد الظهر، طلبت من الطبيب أن يجري لك فحوصات شاملة».

تلعثمت فلورا وقالت:

«هل جاء الطبيب؟»

هز رأسه:

«أنا الذي جئت به الى هنا عندما اتصلت بي أمي هاتفياً لتعلمني انك مريضة. وعندما وصلنا الى هنا، كنت نائمة، لكنه تمكن من إجراء الفحوصات اللازمة من دون إيقاظك. قرر أنك في حاجة الى نظام غذائي خليق. ولابد أسبوع عليك ألاّ تعرضي نفسك الى أشعة الشمس وخاصة عند الظهيرة، أي في الساعات الأكثر حرارة. يمكنك أن تنهضي من سريرك ساعة تشائين، لكن عليك ألاّ تقومي بأي جهد متعب».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة لم تكن تنتظرها. وقال وهو يرفع حاجبيه:

«الكلاب المصابون بمرض الكلب. والأتكليز هم الذين يخرجون في هذا الحر من دون قبعات على رؤوسهم، حتى القطاطين المعتادين على هذا الحر لا يعرّضون أجسامهم الى شمس الظهيرة. اما أنت فقد دخلت المكسيك كيف ستدافعين عن جنوبك وكبريائك واستقلالك يا سيدة البريطانية؟ هل تعديني بأن تكوني أكثر حذراً وتعقلاً في المستقبل؟»

كان جواب فلورا بالنسبة اليه ذا أهمية كبيرة. ويبدو أنه قد

البقاء مكانه حتى يتأكد من أنها ستفعل ما طلبه منها.

«نعم، إني أعدك».

ولابتسامة عز الغرفة صمت عميق وأنس بشع. الآن، بأية مبادرة ليكسره. وكانت فلورا تعي أكثر فأكثر هذا الجسد النحيف والقوي، القريب جداً منها. تركت يديها ترتاحان على غطاء السرير الحريري، وحركة أصابعها المتوترة جعلت يداها تتنسلان بيدي. الآن. وأرادت ابعادهما. لكن أحست بقبضة يده تشد عليها. فارتعشت من الخوف الذي اجتاحها. إنها المرة الأولى التي يتم فيها تقارب حقيقي منهما، منذ ليلة عرسهما، عندما أثار الغضب والاحتقار الشغف عند الآن الذي فقد كل مراقبة على تصرفاته. لكن، هذه المرة لم يلعب الغضب أي دور. وفي هذه اللحظة القصيرة، شعرت فلورا أن في داخل الآن عاطفة عميقة، حافلة يحفيها بتصرفاته وهيه للسيطرة.

فجأة لم تعد قادرة على احتمال وجوده القريب منها عند أكثر إن الفعال اصابعها لقلب جميع أبعاد جسمها وأسرع نبضات قلبها الى درجة أنها شعرت بالدم ينبض في أذنيها. حاولت مرّة أخرى أن تسحب يدها، لكنه شدّ على قبضتها مرّة أخرى.

قالت في نبرة توسلية

«أني... أني أشعر بتحسن كبير. ويمكنني النهوض حالاً. ربما حان وقت الاستحمام للعشاء».

أجابها بهدوء

«لا داعي للعجلة. بعض زمن طويل لم تتناولي فيه الغذاء. لماذا لا تستفيد من هذه الفرصة المناسبة الآن؟»

لفتت وجهها وهي تذكر المحادثة الأخيرة معه ومحاولات الاسترخاء.

لكن، عندما راحت يد الآن تداعب خدها شعرت وكأن كل حواسها في حالة تأهب مفاجئة.

همس الآن:

جعلتني بانتظارك لمدة طويلة. هل تعرفين خجلاً؟ إني خائف بالفعل بحيث أصابني...

كان يلامسها بحنان غريب حتى أنها لم تعد قادرة على الابتعاد عنه. كانت مداعبته ناعمة، ليس فقط على خدها الحار، لكن أيضاً في قلبها المضطرب. وللمرة الأولى منذ أسابيع، بدأت تشعر بسلام داخل نفسها.

همست فلورا:

«يمكنك أن تظهر لهم، عندما تريد، يا آلان...»

فوجئ، إذ وجدت أصابعه للحظة قبل أن تلمس كتفها، وقال:

«أعرف، يا فلورا، أنني مراهق، لكن لا أعتقد أنني سأقول لهم أن...»

وتوقف فجأة، وأدرك أنه لا يعرف ما يريد أن يقوله. وقلب عينيه بشيء من الألم. ملاحظة بسيطة تكفي لتحطيم توازنه العابر واحداثه من جديد في توتره، وبطء، همست والدموع تبلل عينيها:

«آني زوجتي، يا آلان».

شدّ آلان على كتفها بأصابعه في عنف نوبي وفضلت أن تحتمل الألم من أن تفسد هذه اللحظة المذهلة.

أفلت اسمها من شفتي آلان بالرغم منه. كان على وشك أن يشدها نحوه، عندما سمع طرقة على الباب، وصوت الكونتيسة يمزق نسيج انفعالاتها الدقيق.

«يا ابنتي العزيزة، كيف تشعرين الآن؟»

راحت عيناها اللامعتان تتنقلان من وجه فلورا الى وجه آلان. كان قد نهض لدى دخول والدته ووقف على بعد خطوات قليلة من السرير. لم تكن ملامحه سوى قناع لا يتحرك. كانت الكونتيسة تحفظ باستمرار لانجاح حفلتها، وبنظرة معبّرة موجّهة الى فلورا، قالت:

«هل يمكن للويس أن يدخل. انه قلق منذ أن اخبرته عن مرضك وهو يلوم نفسه لأنه لم يعلن بدء كما يجب. ولن يرتاح إلاّ اذا تأكد بنفسه انك تحسنت».

تجهم وجه آلان الذي سماعه اسم لويس على لسان امه. ويأسى استغرب فلورا رأسها على الوسادة وبرغم نواياها الجيدة، فان تدخل الكونتيسة دمّر خيط التفاهم الدقيق. بذلت جهداً للتغلب على تعبها والدوار

«لا، لا، أرجوك. دعيه ينتظر. أنا لا أريد أن أرى أحداً الآن. أشعر بالتعب الشديد، وأفضل أن أبقى وحيدة».

هدأت فلورا فجأة وراحت تستعيد للحظة، ان خزانتها الواسعة لم تكن فارغة منذ أيام قليلة وصلت الملابس التي وعد بها آلان. وأمامها الآن الخيار بين سبع من الفساتين لمختلف المناسبات. لكن استلاكها هذه الثياب كما بالنسبة الى المجوهرات، لم يكن يفرحها.

وأخيراً تناولت فستاناً مصنوعاً من النسيج الحريري الثقيل، لونه يشبه لون الزهرة التي تكاد تتفتح وتضعه على السرير. لترتديه بعد ان لازين وجهها. اقتربت من المرآة وراحت تسرّح شعرها الطويل، ثم لفته في مؤخرة رأسها بشكل كعكة. ليصبح شعرها بعد ذلك وكأنه تاج

www.fifas.com

ملكي على رأسها. سوّت رموش عينيها، ووضعت على شفتيها حمرة باهتة.

سمعت صوت النقنقة الرنان وهي ترفع الفستان ارتدته وأقفلت السحّابة. مع كل خطوة تخطوها كان خفيف الفستان يزداد، مما جعلها تتخيّل أن ثمة شبح غاضب يالس يلحق بها باستمرار. عندما كانت ما تزال في الكشك، قال لها الآلي أنه عليها أن ترتدي الثياب المصنوعة من ثياش النقنقة. وهكذا يمكنه على الأقل أن يسمعها عندما تتحرّك. وليس شريباً أنه اختار معظم ثياب السهرة من الثياش النقنقة.

نظرت فلورا في المرآة ودهشت لأناقتها. عضّت على شفتيها ونظّمت حاجبيها. ما زال الارتجاف حول فمها. عليها أن تخفيه. الكآبة السوداء في أعماق عينيها ستترع استغراب الناس الذين ينتظرون التعرّف الى عروس متألقة متهيجة.

سمعت خرقاً على الباب. وتقلّصت من دون وعي. كانت رقة تعلو أن ازاحت من درب. الآن حذاء ربما تعثّر به الترب. الآن. ثم توقف واحنى رأسه جانباً. فهمت أنه سمع خفيف لوبها.

قال وهو يلتفت يميناً ويساراً:

«فلورا؟»

انتظر ردّها لتؤكد له مكان وجودها. فقالت:

«أنا هنا».

كانت تتأمله برصانة وتتعجب من ضبط نفسه الذي يساعده على السيطرة على القضب الذي ما زال في احشائه. وبعد تردد قصير، قدّم لها ما كان يمسك في يديه وأمرها:

«أعل منك أن تضعي هذا العطر في المساء. إنه اختراعي الأخير. هو الذي

جعلني متهماً منذ وصولي. أمل أن يعجبك».

فوجئت فلورا وتناولت الزجاجة الصغيرة التي تضم العطر الذي كانت سولانج تحلم به. لماذا يقدّمه لها هي؟ ووجدت جواباً على سؤالها عندما أضاف بقول في لهجة باردة:

«إن معظم المدعوين الليلة هم اصدقاء. وفي الوقت نفسه متافسون. ولا شك أن الجميع سمعوا بالعطر الجديد، وفكّرت أنها المناسبة الوحيدة لأقدّم لها [illegible] الجديد وزوجتي التي هي الكونتيسة الجديدة».

أجابت فلورا:

«أني المهم تماماً».

وبطريقة آلية أبعدت عنها الأمل المؤقت الذي راودها. لا، لم يختارها عمداً ليقدّم [illegible] الجديد على الكونت ترتيلييه. أن يحافظ على مركزه، وأن يحترم الشرف العائلي. وبعد أن تنتهي المجاملات والليالة، يعود العطر الى صاحبته الشرعية أي إلى سولانج.

انتفضت بعنف عندما اقترب منها وقال:

«سأضع العطر بنفسي».

كان صوته بارداً كأن الحنان الذي عبّر عنه منذ ساعة تقريباً كان حلماً وليس حقيقة. كانت ترغب في الرفض. لكنه أخذ منها الزجاجة وفتحها وراح يضع من العطر على معصميها ويقول:

«من هنا يجب البدء. يوضع العطر. ثم في تجويف الكوع...»

كانت تشعر كأن احساسه يحرق جلدها.

«وبعد ذلك، العنق...»

نهض شريان عنقها بسرعة جنونية. بتأثير الانفعال وقاومت بجهد يائس للتغلب على الارتجاف.

«ضاف يقول بصوت أخف وطأة:

«لمسة هنا ولمسة أخرى على الشفة العليا، وتنتهي».

تركها ورجع خطوة الى الوراء. هادئ الأعصاب. كانت فلوريا تشعر وكأنها فوق سحابة من العطر الساحر.

سألها بتهذيب كما لو أن جوابها ليس له أهمية كبيرة:

«هل يعجبك؟»

«نعم كثيراً».

استدارت حول نفسها فامتدت التموجات العطرة حولها.

«أشعر وكأنني في قرنفلة من جديد في الحديقة. بعد المطر، عندما يكون الهواء منعشاً وكل شيء فيه رائحة طيبة، نعم، إنه هذا حقاً».

ومن دون الالتفات الى تشرتها، قال:

«لا تضعي أبداً عطراً خلف الأذن أو على الرقبة، فالرائحة تخنقني وزيادة. وعندما يستعمل العطر كما يجب، يمكن أن يحدث ليس هناك طريقة لتتبع أكثر براعة أو دقة من تعبير العطر يمكنه أن يعبر عن روح المرأة، ومن طبيعتها. انه ملجأ لكل امرأة تتمنى أن تبدو أكثر جاذبية وأكثر الوثاقة».

كانت ترتعد بنظراتها من غير أن تلهم. إذا كان العطر شخصياً الى هذا الحد بنظره، كيف يقبل أن تضعه امرأة غير التي صممه خصيصاً لها، وخاصة إذا كانت تختلف عنها اختلافاً كبيراً؟ شعرت لمحظة أنها لا يمكنها أن تحتمل هذا. إن انفعالاتها المعقدة وضعف جسدها، يذوبانها بانهيار عصبي بالغ الأهمية. لو كان أمامها الوقت الكافي، لاتجهت مسرعة الى الحمام وغسلت كل جسمها من العطر الذي صنع خصيصاً لغيرها. شعرت بالاحساس نفسه الذي تشعر به لو أنها اضطرت الى

ارتداء ثياب امرأة أخرى. ونفرت لهذه الفكرة. صوتها عبر برضوح عن هذا الاشمئزاز عندما أجابت:

«من يصدقك. بعتقد أنك تتكلم عن كمية المحبة المخصص لايقاع الرجل في المصيدة. وما تقوله يدل على وجود علاقة أساسية بين العطر والشخصية. ولذا كان ما تقوله صحيحاً يا آلان، عليك إذاً أن تعرف معلوماتك النفسية. بالنسبة الى فتاة لست مستعدة أن أعمل عطراً هدفه ايقاظ بعض الانفعالات لدى الرجل. وسأكون شاكرة لك إذا أعطيت ما تبقى من هذا العطر للمرأة التي صنعته من أجلها. اما بالنسبة الي، فلن استعمله أبداً».

غطى حاجبيه السوداوين وراح دفنه باهتزاز وأجابها في كبرياء:

«كما تريدين! كوني حاضرة خلال خمس دقائق لاستقبال الزبائن».

عندما غادر آلان الغرفة، ظلت فلوريا للحظة متجمدة. ساعدها جرأتها العميق في التغلب على ترددها. تردد آلان زجاجة العطر على الطاولة. فحملته بسرعة وخرجت الى الممشى. كانت غرفة سولانج قريبة من غرفتها. ولما وصلت أمام الباب، دخلت من دون أن تطرقه. قبل أن تمنحها شجاعتها. كانت قد قررت أن يعود العطر الى صاحبته. صحيح أنه يترتب عليها أن تقول دوراً في هذه المسرحية الهزلية التي فرضت عليها. لكن يجب انتزاع سولانج من هذه المسرحية مستنهي هذه الليلة.

كانت الغرفة فارغة. لا شك أن سولانج غادرتها لتؤدي أغراضها مختبئة في كل مكان من الغرفة. ولم يتسن للخادمة أن تراها. وفي الاشمئزاز والرعب، راحت فلوريا توسع خطاها فوق الملابس الملقاة أرضاً، حتى وصلت الى منضدة الزينة حيث تحارم الورق وعدائد

القطن، «نابليس الشعر» تفضح اهيال سولانج وبشاشة أراحت الأغراض ووضعت الزجاجة. وبعدها خرجت بسرعة من الغرفة ونزلت تلعن بالآن والكونتيسة.

بدأ وصول المدعوين في الوقت الذي وصلت فلورا قرب الآن. وخلال الساعة التالية كانت فلورا منهمكة في حفظ أسماء ووجوه الناس الذين يمرّون أمامها. النساء الأرستقراطيات، والرجال المتميّزون، الجميع يمرّون من فضول طبيعي ومن لطف حتى يمرّ أمام خجل فلورا المنتظر الرجال، خاصة. لم يتوانوا عن إظهار إعجابهم بها، وشيئاً فشيئاً، غابت عن ملامح الآن البرودة واللامبالاة. وعندما جلس الجميع الى مائدة الطعام، كان تصرّف الآن حيال زوجته طبيعياً. هي تعرف جيداً، أن اهتمامه بها ليس إلاّ خداع أصحابه، وبرغم ذلك، كانت فلورا تحدّثه السعادة، اذ شقت البهجة في وجهها وبرقت عيناها وارتسمت على شفتيها ابتسامة ناعمة.

وكانت أعمال سولانج كانت مجلس بعيدة جداً من الآن بحيث بات صعباً عليها التحدث اليه. لكنها كانت تكتفي بإلقاء نظرات كره نحو فلورا أما لويس فكان يجلس مواجهاً فلورا. لكن، بعد العشاء، عندما بدأ المدعوون يتنقلون ويجلسون جماعات جماعات في غرفة الاستقبال، لكنّت فلورا من الاسراع نحو الآن.

كان يتوتر مع بعض رجال الأعمال الذين راحوا يمدحون العطر الجديد. وفلورا تتبسّل بمراقبة هؤلاء الاشخاص المفضلين وكانت تغرق في الضحك عندما أخذ السيد دوفريز، وهو أحد المنافسين لزوجها، يد فلورا وراح يشم العطر.

راح يذكّر علناً ثم قال:

ـ إنها علامة خالية ومنعشة وناعمة.

وفي تحت أصداف.

ـ جذاع البرغموت، زهر الوتدال، حامض، فوزنين. أيمون أفندي، ـ «وعلقا أيضاً».

وأمام هذا الثناء، بدا السيد دوفريز وكأنه معرض لموجة قلبية وراح السيد «ي اسارت»، وهو مدعو آخر، يشرح لفلورا التي كانت مستغربة.

ـ السيد دوفريز ينتابه أنه ذو بصيرة، يا كونتيسة. يرفض الاعتراف بعجزه أمام تقدير المحسوبات التي استعملها زوجك لعطره الجديد. إنّ على الاختصاصي أن يكون قادراً على تحديد كل المذاق الدقيقة لخلاصة الزهر، ومعرفة ما إذا كانت طبيعية أو اصطناعية. لكن الخليط الذي يزعجه الآن لا يمكن تعريفه لأنه بالغ التقنين.

وراحت فلورا تعرقلها أن الآن ما زال يحافظ على جماهيرته التي أعطته شهرة واسعة. كانت على وشك أن تشكر السيد «ي اسارت» عندما تدخل صوت سولانج في الخديث:

ـ هل وجدت أسماً لهذا العطر، يا آلان؟

كان السؤال تحذيراً. لكن الآن لم يكن متزعجاً أبداً. فأجابها:

ـ نعم، سأدعوه: زهرة الجنيه.

وفي غمرة التهاني، كانت فلورا وحدها التي لاحظت الخليط الذي ارتسم على وجه سولانج. هي أيضاً فوجئت مما قاله زوجها ولم تستطع منع نفسها من التحديق بالفتاة لأنهما أن الآن ليس في نيته أن يجرح شعورها. إن العطر ملك سولانج. فقد اخترعه هذا وليس الآخر

الذي اختاره. الآن. سوى نجاح اصدقائه. كانت فلورا متأكدة من هذا لدرجة أنها انتفضت عندما سمعت دي اسارت يقول من جديد:

«آه، زهرة الحب! اسم يليق بصاحبته، يا صديقي. إن اختراعك الأخير يرمز تماماً الى جمال زوجتك وشخصيتها، ويستحق أن يدعى بأسمها».

انتفض قلب فلورا. وسمعت السيد دوفرو يعترف قائلاً:

«نعم، هذا صحيح. لم تفد شيئاً من موهبتك، يا آلان».

ثم الحنى امام فلورا وأضاف:

«لا يمكن لأحد أن يشك في أن الكونتيسة زوجتك هي التي أوحت لك بهذا... زهرة الحب. ان هذا التريح الدقيق يعبّر تماماً عن شخصيتها».

كان عليها ان تسأل مهما كلف الأمر. فذلك بصوت مبحوح:

«اني اشكركم جميعاً على مديحكم هذا. لكن هل العطر الجديد لا يصلح أيضاً لتلبية النساء... لسولانج مثلاً؟»

واجهها المتحدثون باحتجاجات جماعية مما جعل فلورا تتراجع عن موقفها. لا شك أنها أساءت فهم نيات آلان وتطرّع دي أسارت لأن يقدم لها البرهان وراح يشرح لفلورا التي كانت تسمعه وهي في اضطراب متصاعد:

«أنت على حق يا كونتيسة. إن بعض النساء اللواتي يتمتعن بجمالك وشخصيتك، يمكنهن استعمال هذا العطر؛ لكن سولانج، أبداً. ان نوع جمالها يتطلب عطراً شرقياً، مثلاً مزيج من الياسمين والبنوي التي تستعمله الليلة».

لم تتجرأ فلورا على التطلع بآلان. انها مقتنعة تماماً أن ملاحظة تعبّر عن شعور سيء. لا شك أنها جرحت شعوره برفضها العطر حتى

ولو أن ذلك يعني بالنسبة إليه دفعة من الدين التي يعتبره واجباً عليه تجاهها. فهو يستحق أن يرى استقبالاً أكثر لياقة لكرمه هذا. وهي أعطت عطره الى امرأة أخرى! شعرت بالدم وراحت تبحث عن طريقة لتكفّر عن خطأها وبخطفة البرق، استعادت الى ذاكرتها غرفة سولانج. لا شك أن العطر لا زال مكانه! وللحال انطلقت نحو سولانج، التي كانت تهزّ كتفيها في استخفاف وتحوّل نظرها عن هؤلاء الرجال الذين لا يقدّمون لها الاهتمام المطلوب.

اعتذرت فلورا وابتعدت عن هذه المجموعة الصغيرة ولم ينتبه أحد لغيابها، بسبب الصراخهم في تبادل الاحاديث. توجهت نحو الباب وهي تبتسم وتهزّ رأسها لمن يحييها، لكنها لم تدع أحداً يوقفها أو يكلمها. كانت يدها على مسكة الباب عندما سمعت صوت لويس يقول وهو يضحك:

«الى أين ذاهبة في هذه العجلة؟»

تلعثمت واحمرّت وجنتاها:

«لست متأكدة في غرفتي... متعبة. وكنت ذاهبة لأستطيب».

قال من دون ان يبعد عينيه عنها:

«سأرسل إحدى الخادمات لاحضاره».

أجابت في تورّ:

«لا تتصرف كالأحمق. أنت تعرف جيداً، يا لويس، أني لم أتعوّد اللجوء الى الخدم، لأفعل شيء. لا أطلب لأن أكلف أحداً بشيء. يكفي أن أفرغ به أيادٍ».

قطب جبينه وانحنى لينظر اليها وجهاً لوجه. وقال ملاحظاً:

«لست أنت نفسك. هذا المساء. لاحظت ذلك خلال العشاء. من دون أن

أعرف السبب. في البداية اعتقدت أن السبب هو فستانك. لكن، على ما يبدو، أن سبب تفيرك ليس مادياً. لاحظت ارتجاف شفتيك. يداك كانتا ترتجفان كلما رفعت كأسك. ومرة أو أكثر، عندما كلمتك، كنت تنتفضين كأني انتزعتك من حلم. مالذا يجري يا فلورا؟ ما هذا التوتر الذي يجعلك تنظرين الى العالم بعينين مليئتين حناناً وأسراراً مؤلمة؟»

راحت تتساءل ما إذا كان رأي الناس الموجودين من رأي لويس. لكنها اطمأنت لأنها تعرف أن لويس يشكل خاص رجل غائب، مثل الآن وحتى أكثر، لأنه يرى. قامت بجهد لضبط قلمها وأطلقت ضحكة خفيفة وقالت:

«أنك تتمتع بمخيلة واسعة، يا لويس! لماذا لا تهتم أكثر بالمذنبات الثلجية وقارس خيالك عليهن. إنني متأكدة من أنهن سيسعدن بالتحدث معك».

ومن غير أن تنتظر جواباً، كانت قد فتحت الباب وتسلقت السلم بسرعة وتوجهت نحو غرفة سولانج.

الغرفة لا زالت كما هي. وعلى رؤوس أصابعها مشت فلورا نحو منضدة الزينة وأقفلت يدها على زجاجة العطر حين سمعت صوتاً يرتفع في الغرفة الصامتة:

«هل يمكنك أن تشرحي لي مالذا تفعلين هنا؟»

التفتت فلورا الى الوراء لتصبح وجهاً لوجه، مع سولانج، التي كانت تحتل فيها في شبك بانتظار جواب. فلورا التي قالت:

«أرجو أن تغفري لي، لكن، نسيت شيئاً يخصني وجئت لأخذه».

«شيء يخصك؟ من غرفتي؟»

اقتربت سولانج من منضدة الزينة وشحب وجهها وهي تنظر الى

زجاجة العطر. فسألتها بلهجة حاسمة:

«من جاء بهذه الزجاجة الى هنا؟»

فهمت فلورا أنه لا جدوى من الثرثرة فاعترفت قائلة:

«جئت بها قبل العشاء. لقد اخطأت عندما اعتقدت أن الآن صنع هذا العطر لك. كنت أعرف أن علي أن أضع شيئاً منه الليلة، بسبب اصدقائه. لكني كنت مضطرة أن أحصل على الباقي».

تنفست عميقاً وأغمضت عينيها لفترة ثم اضافت:

«لكن ما سمعته، فهمني أني ارتكبت غلطة كبيرة. إن العطر صنع من أجل. ولذا جئت استعيده».

زفرت سولانج بقوة، وظهر الغضب على وجهها الجميل وقالت:

«من الصعب أن أسامح الآن. لقد جعلني أظن أن هذا العطر خاص بي، وانتظر مناسبة كهذه ليقوم بعمله المهنس!»

سألتها فلورا وهي تتراجع أمام لهجة صوتها العدائية:

«تريدين أن أقول أن الآن تصرفت خطأ، من أجل أن يجرح شعورك؟»

«هل هناك شيء غير ذلك؟ فهمت أن لديه شيئاً سرياً عندما أراد أن يدخل عن خدمتي والاستعانة بآخرين. لكني لم أكن أصدق أنه يريد خداعي هكذا! خلال الأسابيع الماضية، كدت أموت من الضجر في المعمل، وكيف كان جزائي؟ إهانة من كونت لا يرحم، ولا تستكين إهانته إلا بعد أن يفرغ كل ما في جعبته من شتائم».

استنشقت فلورا بعمق أمل، فسألت في صوت مترفد:

«هل تريدين أن تقولي انك، خلال كل هذه الأسابيع التي أمضيتها في المعمل لم تكوني معه إلا نادراً؟»

ارتسمت على شفتي سولانج علامات الاشمئزاز وقالت:

«بالطبع، يا عزيزتي. إنها جزء من العذاب. أراد الانتقام من أخطاء خيالية؛ لكن لا يطيق أن كان هي، انتهى بينما لا تتوقعين. انظري الى الحقيقة بلا خوف؛ لماذا يعتبر هذا الانتقام ضرورياً؟ رجل لا يشعر تجاه المرأة إلا بالاشمئزاز، هل يقوم بكل هذا الجهود ليعذبها؟»

ابتسمت سولانج وتأكدت من أنها توصلت الى تحليل هدفها وأصابته.

«الآن وأنا، صدقيني كي يجب، إن علاقتنا من نوع الخلد العاطفي هذا شيء يختلف تماماً عن الانفعال الخالد الذي تسمونه أنتم الانكليز الحب. وأذكرك أنه سيعود الى عندما أريد ذلك. ومهما فعلت الكونتيسة الأم لتذكره بواجباته تجاهك، فان العلاقة التي تربطنا هي أقوى بكثير من روابط الزواج. وهو يعرف ذلك والكونتيسة أيضاً. والآن جلد دورك لتعرفي.»

هزت فلورا رأسها. الاقتناع في كلمات سولانج يبهرها. وحذرها العذاب الى درجة لم تعد تطيق أن تستمر في سماع كلماتها. كيف يمكنها تحقيق هذه التصريحات وهي تعرف أنها حقيقية؛ إن طبيعة الآلهة المعقدة تجعله يشعر بالذنب، وهو يعذب حتى أقرب المقربين اليه. فجريمتها في انكلترا تؤكد ذلك. لأسابيع كانت هي وحدها تتحمل نتائج مزاجه المتقلب. ألم تتوقع منذ البداية أن هناك علاقة عميقة بين سولانج وألان أشد عمقاً مما كان يبدو للوهلة الأولى؟

انتصبت فلورا واستعدت للخروج. كانت سولانج تراقبها وابتسامة رقيقة ترتسم على شفتيها. ولما وصلت فلورا الى الباب سألتها سولانج في سخرية:

«وعطرك؟ أليس هذا ما جئت من أجله؟»

واستعادت فلورا ما تبقى لها من كرامة لتردّ عليها في هدوء: «أشكرك. لكنني أحب أن اقدمه إليك. فلا أنوي استعماله أبداً.»

وبعد انصراف فلورا، اختفت الابتسامة من وجه سولانج الذي بدأوا بالانصراف. فارتدت سولانج ألا تزول من جديد كان نظرها على الزجاجة الصغيرة. أخذتها بيدها وتأملتها مطولاً. ثم دخلت الحمام.

فلورا، هي أيضاً، شاهدت انصراف المدعوين، بدون أن تشترك في مراسيم الوداع. وعرفت أنها ستجد أعذاراً تقنعها لتغيبها، فالجميع تراً الى غرفتها وأغلقت الباب شاهرة بالزجاج والخواتم. لم تعد في حاجة إلى الانتظار بأن الأمور جيدة بينها وبين ألان. فالتفاهم اللازم لتمثيل دور الزوجة والزوج للعيون كان صعباً وعرضاً أكثر مما كانت تتصور.

راحت تستعد للنوم. لكن وقتاً طويلاً مرّ وهي في انتظار أن يتغلب عليها التعب وتنام. لكن من دون جدوى.

حاولت ألا تفكر بالقبلة التي جرت بينها وبين سولانج. عادت كلمات سولانج تخللها إن طبيعتها العابثة تتمتع أمام فكرة تصديق سولانج كلّية من دون أن تطلب من ألان تأكيد هذه النصر بحات. إنه انسان صادق وشريف ولا يمكنه أن يقيم علاقة مع سولانج وهو ما زال زوجها. صحيح أنه قبل الزواج أفهمها بوضوح أنه لا يطلب منها الحب وليس عنده ما يعطيه. غير أنها كانت مقتنعة بأنه يحترمها وهو مصمم على ألا يجعلها تندم على خيطا أن تصبح زوجته. كانت تتعلق بيأس بهذه القناعات، حتى تجد الشجاعة. هل يتضح ألان أمام الأمر الواقع: عليه أن يؤكد كلمات سولانج أو ينفيها.

سمعته يمر أمام باب غرفتها متوجهاً نحو غرفته. كانت بفضل أن تذهب إليه في الحال. لكن الوقت كان متأخراً والاسئلة التي تريد طرحها عليه يتطلب أكثر من صباح الغد، حيث يمكنها، كما تأمل، أن تكون قادرة على ضبط نفسها.

وفي هذه اللحظة بالذات سمعت طرقة خفيفة على الباب الذي يفصل غرفتها بغرفة الحمام المشتركة بينها وبين آلان. انتفضت. لكنها ظلت جامدة، عيناها على مصراع الباب. لم تسمع شيئاً فاسترخت. لا شك أن الطرقة ليست سوى من صنع مخيلتها المشوشة. لكنها كانت قلقة في الوقت نفسه. نهضت من فراشها واقتربت من الباب. وبعد تردد، فتحت الباب ودخلت.

في الجهة الثانية من غرفة الحمام، شعاع نور خفيف يبدو من فتحة باب غرفة آلان. ومن فتحة الباب المفتوحة، اكتشفت ما يدور داخل الغرفة: سولانج، الراقدة في مئزرها الأبيض، تشرب من آلان وتبقى لحظة بقربه من دون كلمة ثم تمد فراشها حول عنقه في حركة خفوية. في البداية بدا آلان وكأنه نوبي، كأنه لم ينتظر صوت هذه الزيارة. لكن وجهه تغير فجأة تحت تأثير الفرح الكبير. وتفهمت فلورا أنها أمام عاشق وفتاة.

وعندما وضع آلان فراشه حول سولانج، لم تعد فلورا قادرة على تحمل أكثر من ذلك. فتراجعت الى الوراء. لكنها سمعت صوت آلان يهمس في انفعال نوبي:

«آه يا حبيبتي، لو تعرفين كم كنت مشتاقاً أن أختلي بين ذراعي من جديد».

دخلت فلورا الى غرفتها في خطى متربحة وألقت بنفسها على السرير. عيناها الجريئتان بقيتا تراقبان السقف فوق رأسها، كأنها تبحث عن حل لمشكلة. أصبحت فجأة متعذرة الحل.

١٠ ـ سلسلة مفاجآت

لم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة صباحاً عندما غادرت فلورا القصر ولجت الى الطابق الأرضي من دون احداث أي حركة. وبدها متعلقة بمكة حقيبتها التي تحتوي فقط على الأغراض التي جلبتها معها من انكلترا وبرغم الوقت المبكر كان القصر حافلاً بضجة غير منتظرة.

انفتحت الأبواب الضخمة من دون صعوبة بين أصابعها وما أن أصبحت في الخارج حتى وضعت قدميها على الحشيش الأخضر وبدأت تركض على طول الممالك. خفّت من سرعتها فقط عندما رأت أمامها السياك الحديدية العالية. فعرفت حينئذ أنه لم يعد ثمة مجال لأن يراها أحد من سكان القصر.

كان الطريق خالياً ولم يكن لديها فكرة معينة حول الاتجاه الذي تنوي اتخاذه. كل ما تعرفه أن عليها الوصول الى مطار نيس حيث تستقل الطائرة التي تأخذها الى انكلترا... الى بلدها الى عائلتها.

اختارت أن تدير ظهرها للمدينة نهائياً، لأن الطريق واقعة في داخل الأراضي والقصر يتناصب بينها وبين الساحل. وهكذا تكون قد أخذت الاتجاه الصحيح.

وبعد أن مشت في الطريق المحاطة بالأشجار، مدة طويلة قاطعة مسافة واسعة من دون أن ترى أية اشارة الى أي طريق، ولا أي انسان قررت أن تخفف من سرعتها. لم تفكر أن تأخذ معها شيئاً لتأكله. والآن بعد أن تشققت الهواء الطلب وسارت طويلاً، شعرت بجوع شديد.

وعندما جلست لترتاح سمعت صوت محرك ضخم، فعمدت الى الاختباء. لكنها سرعان ما أدركت أن لا أحد في القصر يستعمل سيارة بطيئة كتلك التي انتظرت حتى ظهرت العربة التي كانت جرارة عربة تحمل سلالاً من الزهر القطع. وسألت فلورا

هل أنت ذاهب في طريق المطار؟

وهز السائق رأسه وقال

نعم، يا آنسة.

كانت ترغب أن تقبل وجه السائق الشاب عندما ساعدها على الصعود والجلوس بقربه. إن الأحاديث العديدة التي بادلتها مع الفلاحين جعلتها تتأقلم مع لهجة المنطقة المحكية. ولهجت كلام الشاب بسهولة عندما أخبرها أنه متوجه الى سوق الزهور في نيس. كان يبدو سعيداً برفقتها ورغم صوت المحرك الذي جعل اي حديث صعب سياعده وعندما أخرج من جيبه وعلبة تحمل خبزاً وجبنة وقدم لها بعضها فبلتها بفرح لا يصدق.

راحت تأكل بشهية الخبز الطازج الذي ما زال ساخناً والجبنة

وتأمل الشاطئ بقلب. وللمرة الأولى منذ أن اكتشفت خيانة آلان شعرت بسلام داخلي. قريباً ستتصل الى بلدها الى أهلها الذين يحبونها والى أصدقائها الذين يشتاقون إليها. وتساءلت فلورا ما إذا كانت الكونتيسة الأم ستتدم على رحيلها. وفي الحماس الذي دفعها الى الهرب لم يتسن لها كتابة كلمة واحدة لكنها وعدت نفسها أنها حين تصل الى بلدها ستبعث برسالة للمرأة المسنة وتشرح لها سبب تصرفها هذا مع مراعاة شعورها.

دخلت الجزائر الى نهر. الشوارع العريضة والجادات كلها فارغة. فقط بائع أو أكثر بدأوا بفرش الطاولات داخل ساحة السوق استعداداً لعرض الزهور. نزلت فلورا من العربة وشكرت السائق وتوجهت الى محطة التاكسي لتستقل واحداً يقلها الى المطار. بدأت تشعر أن الوقت يمر بسرعة وهي تريد أن تكون في طريقها الى انكلترا قبل أن يكتشفوا غيابها.

وقف تاكسي يسير ببطء لالتقاط الزبائن. فأشارت اليه. فتوقف وسمعت أحدهم يقول:

«الى المطار بسرعة من فضلك.»

كانت قد قطعت نصف الطريق عندما لاحظت أن يديها ترتجفان. فألقت بطرف عباءتها على أصابعها.

وما أن وصلت السيارة الى المطار حتى دفعت للسائق أجرته وتوجهت مسرعة الى داخل المبنى. وشدت يدها على الحقيبة. اقتربت من أحد المكاتب وقالت للموظف المسؤول:

«تذكرة سفر واحدة على متن الرحلة الأولى الذاهبة الى انكلترا. من فضلك.»

ابتسم لها الموظف ابتسامة مطمئنة وظن أن فتاة فلورا الرسوم على وجهها عائد لخوفها من ركوب الطائرة. فقال:

«لا تقلقي، يا آنسة، سنكون في أمان! انتظري سماع رقم الرحلة واقتربي بعدها الى الباب المطلوب، وهناك تساعدك المضيفة على الدخول الى الطائرة.»

ولما رأها تتناول بطاقتها بسرعة كأنها تريد الهرب أضاف:

«لديك الوقت الكافي. لن تقلع الطائرة إلاّ بعد ساعتين.»

ساعتان! لم تفكر أبداً أن عليها الانتظار. وفي حمى تفكيرها تصوّرت أنها ما ان تصل الى المطار حتى تنطلق الطائرة التي ستأخذها الى انكلترا. من غير أن يتسنى لها الوقت لأعادة التفكير في الموضوع. ساعتان! إنه وقت كاف أمام زوجها لأبلاغ البوليس وتعميم ابناء النطقة.

وجدت في غرفة الانتظار مقعداً وراء إناء زرع فيه شجرة نخيل كبيرة. جلست مختبئة وراء الشجرة تنظر في مواجهة الدرج. فزرت ألاّ تترك أفكارها تتركز على الآن. وبما حدث أمس قبل رحيلها. في البداية كان من السهل أن تتغلبي برؤية ذهاب الطائرات وإيابها. لكن مع وصول الركاب، بدأت تنتابها رؤية شبح طويل نحيف بين الناس. كما جعل قلبها ينبض بسرعة.

نظرت الى ساعة يدها عشرات المرات كأنها تريد أن تتقدم عقاربها. أخيراً سمعت إعلاناً عن رقم رحلتها. فاندفعت نحو الباب المذكور. كانت تنظر أمامها وأفكارها كلها مركزة على الهدف الأول الذي تريد أن تحققه. الى فرنسا. لم تسمع أحداً ينادي باسمها. وما أن وصلت الى أول الصف حتى شعرت بيد تلمس على ذراعها وصوتاً يقول:

باستغراب:

« فلورا! شكراً يا الله لقد وجدتك»

كان وجهها بلون الرماد فاستدارت

« لويس!»

كانت شفتاها تنوسلان اليه ألاّ يحتجزها بينما بقية السركاب يتوجهون نحو الطائرة.

« فلورا، انتظري، يجب أن اكلمك»

أجابته:

«ليس الآن يا لويس وإلاّ فاتتني الطائرة. سأكلمك الى حين وصولي. أعدك بذلك»

لكنه قد وصل الى المباب عندما أقفلت بوابتها وبدأت صوت المحركات تعلو. لم يستطع التقاط الرسوم على ملامح وجهها. كان يتصبب عرقاً وهو يتابع بعينيه الطائرة وهي تمضي بعيداً.

« فلورا، الأمر يتعلق بالكونتيسة. أصابتها نوبة، والطبيب معها لكنها تطلب رؤيتك.»

تأمى: «أو لا...»

وضاع استدراكها المتأسي، مع صوت المحركات. لم تعد تفكر بالطائرة التي تنتظرها.

«عُدْ إليها، يا لويس! بسرعة»

وعندما أصبحت في السيارة التي تقلها الى القصر، راح لويس يشرح لها ما حدث.

«الخادمة التي صعدت الى غرفتك عاملة التحسان الثاني وجدت الكونتيسة ممدة على السجادة في غرفتك. لقد كانت تلفة عليك مساء

البارحة وعندما لم تنزل من جديد، قال ألآن للمدعوين انك خلال النهار عانيت من ضربة شمس ولا شك أنك أردت الخلود الى النوم باكراً. ويبدو على أمي أنها قبلت هذا العذر، لكنها استيقظت هذا الصباح باكراً جداً وأرادت أن تعرف كيف تشعرين. حاولت الوصول الى الجرس لتريه طلباً للمساعدة لكنها سقطت قبل أن تتوصل الى ذلك. ومن حسن الحظ لم يمض أكثر من ساعة على اكتشافها. وإلاّ لكانت النتائج أشد خطورة. ان النوبات القلبية تتلف وخاصة مع امرأة في سن الكونتيسة.»

صمتت فلورا

« كيف هي الآن؟»

«جيدة. قال من جديد الطبيب. لكن الطبيب يأمر بالراحة التامة لفترة لا تقل عن شهرين. وهي تريد أن تحسن صحتها. وتريدها أن تذهب الى شاليه في جبال الألب. لكنها لا تريد أن تتكلم الآن. وحده فهم لما فاتك. كانت تتلفظ باسمك وتطلبك. لم تصل الى تهدئتها إلاّ بعد أن وعدتها بأني سأذهب للبحث عنك. يشكراً لله لأنني جئت في الوقت. دقائق قليلة وكنت الآن في طريقك الى انكلترا»

كان يركز تفكيره على قيادة السيارة التي كانت تنطلق بسرعة كبيرة. لكن صديق فلورا القوي ورجيها الخفيف جعلاه يصرخ قائلاً:

« فلورا! هل تشعرين الآن بالمسؤولية لما حدث لأمي ...؟ لا يمكنك أن تأتي لها بكل أن يحصل للآخرين و...»

لكن عندما استدرت فلورا على المقعد وراحت تشهق بالبكاء، أخذ يلوم نفسه وتوقف على طرف الطريق. وهتف فلورا بين ذراعيه

www.faifas.com

وراح يحاول تهدئتها. لكنّ الدم الذي كانت تشعر به كان شديد العمق فلم تستطع أن تتوقف عن النحيب وسماع كلمات لويس الذي كان يقول وهو يهزها:

«ليس ما حدث بسببك، هل تسمعين؟ إن الكونتيسة مسنة... وربما يكون رحيلها هو الذي سبّب النوبة لكن كان من المنتظر أن تحدث في أي وقت. يجب أن تصدقيني، يا فلورا».

لكنها ظلت جامدة. فنزر لويس أن يشلها من هذا التوتر ويطلب مساعدتها:

«ليس في نيتي أن أطرح عليك الاسئلة يا فلورا، لكن يبدو واضحاً أن الوضع بينك وبين آلان أصبح منازعاً وخطراً أكثر مما كنت أتصوّر. وسأطلب منك خدمة. هل توافقين على البقاء في القصر؟ أمي بحاجة الى امرأة تحبها وتفهمها. الخدم كلهم يحبونها، لكن ما من أحد يمكنه أن يحلّ مكان عائلتها. و... يا فلورا...»

رفعت فلورا رأسها وبدأ خدّاها بالاحمرار. وأضاف لويس:

«أعتقد ان بامكاني أن اطلب منك هذه الخدمة من أجل الكونتيسة ومن أجل آلان. ولا يمكنك بالطبع، بعد قراراك ان تعتقدي بأن عشيقان آلان وكوبار، وخطرسته سنسمح له بأن يطلب منك ولدك».

وفجأة عاد الشحوب الى وجه فلورا.

«لا شك أنه يكرهني لما سببت من ألم لوالدتي. ولن يحتاج ان مساعدتي في وجود سولانج!»

«لقد شاورت صباح اليوم أخذة كل امتعتها».

«هل غرب آلان بذلك؟»

«هو الذي أخبرني بذلك. يبدو أنه طلب منها الرحيل الباريسة. وفي

الصباح برغم ما حدث للكونتيسة لم تفكر سولانج لحظة بتغيير خططها... لقد ذهبت الى غير رجعة».

ونهض الصبي. كان لويس يأمل في أعماق قلبه أن تعيّر فلورا موقفها وتبقى، وهي تفكر بأن المرأة التي تحبها كانت تموت بسببها.

عاد لويس ليقول:

«لعلنا قررت. لا مجال أمامي للتأثير عليك، لكن إذا كنت تعتقدين بعدم قدرتك على البقاء، فأفضل لأمي أن تذهبي منذ الآن، من دون أن تراك، وصدقيني إذا كان هذا قرارك سأتفهمه وأعيدك فوراً الى المطار».

كان يتكلم كأن أمله فلورا هربة الاخبار وتعرف جيداً أنها غير قادرة على ترك الكونتيسة وهي في حاجة إليها. لكن يجب في الوقت نفسه أن تجابه آلان... قامت بجهد كبير لتهمس:

«هزا بنا نسرع يا لويس. يجب ان أمشي بكل تأكيد».

وفي وصولا الى القصر صعدت فلورا على الفور الى غرفة الكونتيسة. كان الطبيب قد غادر القصر تاركاً المرأة العجوز بين يدي ممرضة القصر. ونفذت فلورا منها خلسة دخل بهدوء إحساناً أي صوت. كانت الكونتيسة نائمة.

رفعت الممرضة يدها طالبة من فلورا ألا تتكلم لكن فرقعة مريولها النشو أحدث دوياً مما جعل امرأة تتحرك في سريرها وهي تتأوه. ثم فتحت عينيها في الوقت الذي أغلقت فلورا وجهها النقاب. فبرقت عينا الكونتيسة وأرادت أن تتكلم، لكن الجهد الذي كانت تبذله كان مؤلماً. وبعد زفرة، غابت عن وعيها من جديد. وعلق زاوية فمها إبصاقة صغيرة علامة الرضى والاستسلام.

أشارت الممرضة الى فلورا بالخروج ثم لحقت بها.

«لقد عرفتك يا سيدة، وهي حالتك الآن. لن تستيقظ إلا بعد أن ينتهي تأثير الدواء المنوم. ويجب عليك أنت أن ترتاحي لساعة أو ساعتين. تبدين في حاجة للراحة.»

شكرتها فلورا وأكدت لها أنها ستنفذ نصيحتها. لكن ما أن دخلت الى غرفتها حتى تأكدت من عدم قدرتها على النوم. غسلت وجهها جيداً لتبعد عن عينيها آثار الدموع ووضعت قسطاً مريحاً ثم ترك لتبحث عن أليان.

وجدته وحيداً في غرفة المكتبة، يجلس في أريكة واسعة من الجلد قرب النافذة، وأشعة الشمس تقع على رأسه الأسمر مثل شعرة الربيع الفضية. دخلت فلورا من الباب المفتوح بهدوء. وتبعت عيناها على يدي أليان المتقاطعتين فانقبض قلبها.

«ألان!»

لم يكن صوتها سوى همس خافت، لكنها لاحظت أنه سمعها. فتنفس بعمق وحدق بذهاب. اقتربت منه وهي ترتجف وقالت:

«ألان، إني آسفة.»

فنهض وقال:

«هل شاهدت الوالدة؟»

أجابت في صوت خافت:

«نعم. لقد عرفتني... وأنبأتني بي...»

لم تتمكن من مواصلة الكلام. واسترخى فم ألان بحركة متوترة وكادت تصطدم فتسند بكرسي وبفقد توازنه.

اقتربت منه لكنه كان قد انتصب يحاول العثور على ظهر أريكة. شعرت فلورا بالاضطراب، لأنها تراه للمرة الأولى ضعيفاً وعاجزاً من

تلمسه التي كانت ترمز لها استقلاليته الكاملة تجاه محيطه وبيئته.

لم يتمكن لها الوقت أن تسأله عن هذا التغير الذي أصابه. وفي نبرة مترفعة سألها:

«هل تناولتما بالجلوس، يا فلورا. أرجوك أعتقد أن الوقت حان لتتحدث عن مستقبلنا.»

شعرت بتأثير شمس وهي تراه يزور أصابعه في شعره، في حركة متعبة عديم الشجاعة، يائسة كأنه يعترف أن كل معاركه انتهت الى لا شيء. وعرفت عندئذ أنه يفهم جيداً أنها نادمة على ما فعلته. كلمات عديدة تغص في قلبها لكن شفتيها المرتجفتين لم تنطقا إلا بالكلمات ذاتها:

«إني آسفة، يا ألان. آسفة جداً...»

اصفر وجهه وحتى فمه وقال:

«إني آسف، أنا كذلك يا فلورا. آسف لأني اقتنعتك بالقبول بزواج لم يجلب لك إلا الندم. لقد ارتكبت غلطة كبيرة، ولو أن الزمن يرجع الى الوراء، لأعفيتك من عذابات أخرى...»

شعرت فلورا بألم شديد يخترق كيانها. لا داعي لمتابعة أقوالك والتعبير بدقة عن الرغبة التي يشعر بها الجميع. سولانج، نديم نفس فلورا، مدى حبه لتلك المرأة. لا كانت شاهدة حية على ذلك. فيجب عليها أن تنعم من ان يقول أكثر.

«لا داعي للقلق يا ألان. سأبقى حتى تستعيد والدتك صحتها. لكن بعد ذلك...»

«شكراً. هذه شهامة منك، ما دامت الظروف تريد ذلك. إني أعرف كم

يعني لها وجودك هنا. لن أحاول التمسك في البقاء. لكن...»

بدا وكأنه يختار كل كلمة يلفظها ثم تابع بصوت صحوح وبارد:

«هل تعتقدين أن امكانية التمسك هنا من جديد تبدو أكثر سهولة عليك اذا قلت لك أن في نفسي التغلب بعض الوقت»

قالت في كبرياء:

«لا»

نهض وأدار الظهر وابتعد ثم قال في عنف مفاجئ:

«هل وصلت لامبالاتك الى حد ألا تسألي لي أين أذهب؟»

تكلمي كلمة واحدة للرد عليه. ومن دون ترك أجابت:

«لا»

وهربت خارجة من الغرفة. لماذا تسأله الى أين سيذهب. إن سولانج في باريس.

١١ ـ كأنه اللقاء الأول

كانت فلورا تجر الكرسي المتنقل التابع للكونتيسة على طول الممر الذي يتعرج في حديقة القصر الطلس خريفي، في أحد أيام شهر أكتوبر ـ تشرين الأول. وكان قد مضى شهران على حادث الكونتيسة وعلى رحيل آلان الشمس تسطع على الأزهار العطر وحده تغير فقد حل محل الورد والميموزا أريج أكثر حدة هو أريج الجهرانيوم والنعناع البري

وقفت فلورا الكرسي في ظل أشجار السرو العالية. ثم جلست في مقعد قبالة الكونتيسة.

«هل أنت مرتاحة يا أمي؟ هل تريدين وسادة تحت رأسك؟»

قالت المرأة العجوز وهي تبتسم بلطف:

«لا تقلقي علي بعد الآن. الطبيب بنفسه أكد لك أني شفيت تماماً، وأنت تعاملينني كأني ما زلت صعيفة الى درجة الدوران تحت أشعة الشمس»

استرخت فلورا مرتاحة لكلام الكونتيسة. صحيح أن صحتها

الصغيرة وتتعب بسرعة. لكن لصحتها كان مذهلاً. لأسابيع طويلة ظلت فلورا تسهر عليها، لا تتركها لا في الليل ولا في النهار، إلى أن أصبحها الأطباء بالاطمئنان الى الراحة. وحين في رامغها كانت تقصد المرشدة باستمرار، الى أن تأكدت بنفسها من التحسن الملموس في صحتها، وعادة اليها الشعور بالذنب.

غياب الآن. كان وراءه بالنسبة إليها أكثر من علامة استفهام. ولا مرة، سألت الكونتيسة فلورا عن السبب الذي من أجله غادرت الخصر كأنها تريد أن تزيل هذا الحادث من ذاكرتها، والتصرف كأنه لم يحدث أبداً. وفلورا هي أيضاً كانت تفضل هذا الحل. فهي تعرف ان المرأة العجوز ليست في وضع صحي يمكنها معه أن تتحمل هذا الموضوع المؤلم. ولا بد أن يأتي يوم تستطيعان أن تتحدثا فيه عن المتوفرج، عاجلاً أم آجلاً. لأن الآن سيعترف بحبه لسولانج.

سألتها المرأة العجوز فجأة وهي ترمقها بنظرة ثاقبة:

«هل عرفت أن الآن تحدث معي مساء أمس بالهاتف؟»

انتفضت فلورا ووضعت يدها على وجهها لتخفي احمرار الخجل. كانت تعرف أن الآن يتصل بوالدته هاتفياً باستمرار. لكن، ولا مرة طلب التحدث الى زوجته. وهي أبت عليها كرامتها أن تسأل عن أخباره.

أجابت في صوت خافت:

«كلا. لم أكن أعرف. كيف حاله؟»

«كان يبدو في مزاج رائع. كان صوته واضحاً ورائقاً وملبياً بالنشاط، حتى أنه بدا لي أنه عاد كما كان قبل أن يفقد بصره.»

صمتت دهشة قبل أن تكمل حديثها في لهجة أكثر حدة:

١٤٤

«رفض أن يحدثني عن أحواله. حاولت معرفة موعد عودته الى الخصر، لكنه اكتفى بالقول: «أفضل أن الفاجئك وعندما أعود سأطلعك على خبر سار.»»

أضافت وهي منطقية الحاجبين:

«إنه يزعجني بأسراره. لماذا يرفض حتى أن يقول لي أين هو؟ ما هو السبب الذي من أجله يريد ألا تعرف أي شيء عنه؟»

لم تزد فلورا. كانت تتعذب لأنها تعرف أنه في باريس مع سولانج وعزات عديدة، خلال الأسابيع التي مضت، كانت تتسلط في الليل وتتصورهما واضعاً ذراعيه حولها هامساً بصوته الحزين، فتشعر بالسعادة الكبرى لبرهة قصيرة. وتتساءل لماذا كان هو أيضاً يتذكر تلك الليلة عندما كانت رائحة الأزهار تنقل من الشائلة المفترشة تحتهما على الرمال الشبيه الذي أمضيته. هل هذه الذكريات هي التي جعلته يطلق عطره الجديد باسم زهرة الخصر؟

لكن كلمات الكونتيسة كانت بشارة استهواء بها. لأن أحلامها لم تكن سوى وهم وخرافة. انه يبدو لها في مزاج مرتفع ومرح، بالنشاط والنشاط. ولذا كان سبب هذا التغير في شخصيته خالياً الى سولانج بالذات. فهي ولا شك تستحق كل تهنئة. حتى الكونتيسة نفسها، التي لا تشعر تجاه سولانج بأي انفعال إيجابي، لن تجد مانعاً من زواجها من الآن، وخاصة عندما يفهمها انها لن تعاشره مطلقاً بعودة سولانج بقربه.

لم يعد باستطاعتها أن تتحمل أكثر. انهضت بحيوية وكشت دموعها حتى لا ترجع المرأة العجوز وقالت:

«أنا متأكدة من أن الآن لن يجعلك تنتظرين إجابته مطولاً، يا أمي.

١٤٥

ويجب أن تكفي عن الاضطراب. وادركي كم سيكون جزيئاً ان هو عاد ووجد أنك ما زلت مريضة وضعيفة.

ثم انصلت وهي تسوي الوسائد تحت رأس الكونتيسة.

«هذا أفضل يا عزيزتي. إنها ساعة القيلولة.»

بقيت حوالي عشر دقائق قرب الكونتيسة، لكن ما ان تأكدت أنها نائمة، حتى ابتعدت بهدوء نحو مكانها المفضل حيث يمكنها أن ترى منظراً شديد الروعة يطل على حقول الزهر وعلى القرية المجاورة.

وهناك وجدها لويس. فاستقبلته وعلى وجهها ابتسامة صداقة.

«من غير العادة أن أراك في مثل هذه الساعة، يا لويس! وصباح اليوم، قلت لي أمي انها زارك كثيراً في هذه الأيام. كذلك أصبحت فجأة رجل آمال!»

جلس على العشب بقربها وقال في رصانة:

« فلورا، يجب أن أكلمك.»

فتحت فلورا عينيها وانتابها القلق. وألقت نظرة على الكونتيسة فأسرع يطمئنها:

«إنها في صحة جيدة. عندما مررت أمامها، كانت تنام نوماً عميقاً.»

«لكن، ماذا عندك لتقوله، يا لويس؟ لماذا هذه النظرة الجادة؟»

بدا وكأنه يجد الكلمات بصعوبة. فانظرت فلورا حتى ينتهي أفكاره. لكنه تقلص عندما قال فجأة:

«هل انتهى كل شيء بينك وبين آلان؟»

احمر وجهها وصمت.

«ليس لك الحق في أن تطرح عليّ هذا السؤال.»

أشتد جوابها ضبط النفس الذي حاول المحافظة عليه. فالتفت

نحوها في غضب.

«ما من أحد يعنيه الأمر أكثر مني! منذ أسابيع وأنا أراك تتصرفين، في انتظار كلمة أو حركة واحدة من الرجل الذي تقولين عنك، مفتخراً بذلك حتى حقوقه كزوج! وبوماً بعد يوم تصبح عيناك أكثر حزناً، ووجهك الجميل يفقد عذوبته. لست سوى ظل صغير صامت، وقلب مقفل بالنسبة الى منهارة الى حد لم تلاحظي الحب الذي أكنه لك والذي لم أستطع إخفاءه. اني احبك، يا فلورا!»

أمسكها من كتفيها وقال في تصميم:

«ارحل معي... الآن. واني أعدك بأن أكرس حياتي كلها لأريحك من العذاب الذي سببه لك آلان!»

وعندما جذبها نحوه، محاولاً معانقتها، استعادت فجأة رباطة جأشها وأبعدته عنها. فاضطر الى تركها. وقالت:

«كيف يمكنك أن تتصرف معي هكذا؟ كيف يمكنك أن تفهمني لبس فقط صداقتي لآلان، بل أيضاً ثقة العائلة بك؟ ألم تفكر بأمي؟ إني أعرف أنك غير متفق مع آلان. لكنه لم يفعل شيئاً ضدك ليستحق خيانة كهذه! إني زوجته، يا لويس! ربما تكون مقدراً على أن تنساه... وهو كذلك... أما أنا، فأبداً!»

انخطف صوتها في بكاء. لم تتمالك في كبته لفترة طويلة. ثم التفتت الى آلان قال لويس في لهجة مترددة:

«حاولت كثيراً مقاومة عاطفتي، يا فلورا. لست عديم الضمير الى درجة أن أقدم على خطف زوجة رجل أحبني. لقد أمضيت الأسابيع الأخيرة في عمل شاق محاولاً نسيان حبك. لكن الآن لا يستحق كل هذا الاحترام. لقد تركك تعذبين بأمي وحدك ورحل من غير أن يفكر

بك او بامي. فكيف تدافعين عنه؟»

سألته فلورا في بساطة:

«هل يجب أن أكرهه بحجة أنه غير قادر أن يبادلني الحب؟»

أجاب وأسئلته مشحونة:

«هذا ما تفعله أغلبية النساء اللواتي أعرفهن.»

«اذاً، فلا أستغرب أن يكون طلاقك قد غاب، يا لويس.»

«يا إلهي!»

هز كتفيه في حركة تدل على ايهامه.

«كان عليّ أن أفهم أنك غير قادرة على حبي. وما زال الآن حظ أكثر مما كنت أتصوّره.»

حكّ يديه في جيوبه ورفس حجراً وقال:

«لم يعد أمامي حلّ سوى مغادرة القصر...»

«لا، يا لويس. هذا مستحيل!... وامي، كيف يمكنك أن تفكر في التخلّي عنها، وهي في هذه الحالة الصحيّة المتدهورة؟ يجب أن نبقى، من أجلها ومن أجل عطورات تريفيل، من سيتخذ القرارات اللازمة في غيابك وفي غياب الآن؟»

«الآن؟ الآن، لا تفكرين إلاّ به!»

إن عذاب فلورا هو الذي يعذبه. وبسببها هي يشرك لغضب الفنان وفهمت أن عليها أن تحذره بدلاً من مجرى بينها وبين الآن. فكبتت انفعالاتها وقالت:

«أنا من سيغادر القصر قريباً، عندما يعود الآن، سنعود سوياً نحن... الى الأبد.»

«هذا مستحيل! هل أنت متأكدة من ذلك؟»

«نعم. إني متأكدة من ذلك كل التأكيد.»

شعرت في عينيه بريق أمل واضطرت أن تنزع منه كل وهم:

«لكن ذلك لا يغيّر شيئاً في عواطفي تجاهك، يا لويس.»

ابتعدت ريثما بحثت عن كلمات تقول في صوت هامس:

«لا يمكنني أن أحب شخصاً آخر غيره الآن، أبداً...»

وضعت يدها على اليد الثانية الزرقاء الصغيرة التي تزيدها باستمرار. وفهم أنها تفكر بالكلام المنقوش الذي يعبّر عن وضعها. كأنها حفرت خصيصاً لها. وللآن. متحدان، لكنهما دائماً منفصلان لأن الزواج هو الذي يوحدهما لكن لا شيء يملأ الهوّة التي تفصلهما. الشجاعة التي تتحلّى بها فلورا أرهقت لويس. وأعادته في الوقت نفسه. وشعر بالخجل. والأول مرة يرى نفسه كما يجب أن يبدو في عيني فلورا. واكتشفت فجأة أنه قادر على الاحساس بالخجل. وهذه التجربة بدت صعبة كي يتحملها. أخيراً قال:

«سأبقى. ولكن فقط لأنك تطلبين ذلك مني. واذا كنت تعتقدين أن وجودي هنا ضروري. فلا أستطيع أن أرحل.»

استدار وابتعد. ترقد ثم استدار نحوها:

«فلورا!»

«نعم، لويس؟»

كانت ترتجف وخلق وشك البكاء.

«اذا كنت قد جرحت شعورك، فأنا آسف جداً. هل تسامحينني؟»

وفهمت انها طريقته ليؤكد لها أن الموضوع قد أقفل ولن يعاد فتحه بعد الآن. استسلمت وقالت:

«ان صداقتك ستظلّ دائماً عزيزة على قلبي، يا لويس. لا أريد أن

آخرها. لا شيء يستحق طلب الغفران.

في المساء، عندما فتحت خزانة الثياب لاختيار ثوب لها، وقعت عيناها على فستان من الحرير الرمادي القاتم. ذي قبة بيضاء تتلاءم تماماً مع مزاجها.

كان الثياب الحريري يتطاير حولها إزاء كل حركة تقوم بها، ويذهب كامل قدميها النحيفتين. من غير احداث صوت. ثم راحت تلمس شعرها. لكنها لم تكن في حالة تسمح لها برفع شعرها على شكل كعكة. فاركنه يتسدل على كتفيها.

أسورات غير عادية جاءت تصدر من الطابق الأرضي. الباب يطرق وأسورات تدوي في الهول ثم خطوات تصعد السلم. خطوات سريعة، نشيطة. تعبر عن ثقة شخص وصل لتوه. ولما توقفت الخطوات في الممر، أمام باب فلورا، انقبضت أعصابها وجف حلقها.

انفتح الباب ودمع نسمة أقراء التي دخلت ارتفع فستانها الخفيف حوالا الى درجة أنها بدت وكأنها خيالية، ساحرة. جذبت الحبال واختبرت ثم انطلقت زفرة طويلة عندما دخل آلان بقامته الطويلة إلى الغرفة بلهفة كانت تنظر اليه بقلب لعرها. نظرتان سوداوان لمعتان عينيه، لكن من خلال الزجاجتين الرماديتين كانت عيناه تحتفلان بها في نظرة حادة. اهتزت بشدة خجلاً. ولما توقف بقربها، بدأت تسمع نبضات قلبها.

لم تستطع ان تتحمل أكثر هذا الصمت الرهيب فقالت:

« الآن، لقد عدت..»

«مساء الخير يا فلورا»

كان يكلمها كأنها بالفندان للمرة الأولى. شعرت فلورا أنه تائه

الصبر، غير قادر على تحمل المقدمات. ان والدته على حق، فقد تغير. وبرغم شحوب وجهه الذي يفسر إقامته في باريس، فانه يتضح بالحيوية والنشاط.

«هل أنت سعيدة لرؤيتي؟»

كأنه هاد ترتاب لغبة الغر والقلق. لم تعد تتحمل العذاب الذي يعانيها به. كان مليئاً بالفرح من دون شك. لكن هل من الضروري أن يعرض سعادته أمامها؟

ربما كانت سولانج تنتظره في البهو، مستعدة لمكافحة الطريقة الفضلى للتخلص من زوجة غير مرغوب فيها. وأسأم عنه التفكير، رفعت فلورا وجهها في فخر واعتزاز. إنه يجهل أنها تعرف أين كان يقضي كل هذه الأسابيع الثلاثة. وحان الوقت لأعلامه بالأمر.

سألته في صوت هادئ، وبارد:

«كيف كانت رحلتك الى باريس؟»

كانت تنتظر أن تراه يعترف بذنبه. لكن ملامح وجهه عبرت عن ارتياح. رفع حاجبيه ورداً:

«باريس؟»

«اني أعرف انك كنت في باريس مع سولانج أرجوك، يا آلان، لا تحاول انكار ذلك»

تخشنت على شفتيها لتمنعها من الارتجاف وأضافت:

«لقد قلت لي يوماً انك لن تنتظر مني سوى الحقيقة. ألا يحق لي أن أتوقع الشيء نفسه منك؟»

ظل آلان يحدق فيها مستغرباً محاولاً أن يستوعب ما كانت تقوله. فتراجعت أمام عينيه المتين تبدوان وكأنها تخترقان أعماقها. لكنه

مد يده واقفلها على معصم زوجته وقال في لهجة وهو ينهض:

«لماذا العجلة في إبداء رأيك واظهار قناعتك يا فلورا. لم أذهب الى باريس ولم أر سولانج ولم أتصل بها منذ اليوم الذي غادرت فيه القصر».

شعرت كأن قلبها سقط من صدرها. وقالت:

«أرجوك أن تسامحني. ربما تسرّعت في إبداء رأيي، لكن هذا لا أهمية له. أنسى كذلك اني اعرف أنك واقع في غرام سولانج.. لقد رأيتها في غرفتك.. وسمعت ما كنت تقول لها..»

انخطف صوتها المرتجف في نحيب. تسكعت وأدارت وجهها. نأى عنها ما كانت تريد أن تقوله.

«وفي اليوم التالي ازرت الطبيب».

نظرت نحوه من جديد بعينيها الدامعتين، فتراءى معصمها وتوهّج ضوء النافذة وجلس على فتحة النافذة العريضة. وأمرها:

«تعالي واجلسي قربي».

أرادت ان تقاوم، لكنه راد هذه المرّة في قوة:

«تعالي يا فلورا. أريدك قربي».

أطاعت على مضض. فجلست على الطرف الآخر بعيدة عنه. لكن أدناها بذراعها وشدّها عنوة صوبه. فراحت ترتجف وسمعته يقول:

«انك مفتعلة بأنني أحب سولانج. ما يجعلني أقاسمك سراً لا يعرفه سوى سولانج وأنا».

كان يتكلّم بصوت خال من أي تعبير. لكن ملامحه كانت رصينة تدل على أهمية ما سوف يقول:

«بسبب غلطة سولانج أمسيت أعمى».

ارتعدت فلورا، وكانت صرخة كانت على وشك الانفلات، وراحت تسمعه يقول:

«كنا مخطوبين. الخطبة قمت تلقائياً كما يحدث لشخصين يعرفان بعضهما منذ الطفولة. في البداية، لم أهتم كثيراً بثروتها وتقلباتها. إنها فتاة وحيدة ومدللة. وكان والدها يلبي كل طلباتها. لكن عندما بدأت أهتم أكثر فأكثر بحلاقتنا، بدأت أكرّس وقتاً أكثر للحسابة بها. وبدأنا نتضخم ونتشاجر، فاقترحت عليها أن على أن أفسخ الخطبة».

شدّ يده على معصم فلورا التي كانت تصغي اليه في انتباه حتى أنها لم تشعر بألم معصمها.

أضاف زاماً شفتيه:

«وفي اليوم الذي أعلنت له قراري بفسخ الخطبة. كنا معاً في المختبر. أبيت عملي وكنت أنظف الآليات والمعدات التي استخدمها في التجارب. ربما كانت غلطتي أنا أيضاً. فقد كنت مشغولاً بما سوف أعلنه، ولا شك أني سكبت بعض السائل في عيار أكثر مما يلزم. لكن هذا ليس أساس ما حصل. فجأة، سولانج مما تلمه فرمتني بشيء لم أعد أذكره، فوقع في الاناء الذي كنت أمسكه وتطاير السائل الى عيني».

سكت فجأة، كأنه يخشى رعب تلك اللحظة من جديد. كانت فلورا تشعر بارتخاء جسمه كله. كان الخجل والرأفة يشدان على حنجرتها مما جعلها تقول:

«آه.. الآن. كيف استطعت أن.. كيف يمكن لانسان..»

نفض جسده ليتخلص من هذه الذكريات، ووضع ذراعه حول

عاصر زوجته ليجذبها نحو قلبه

«لا تحكمي عليها، يا فلورا، إني مدين لها بعرفان الجميل»

«عرفان الجميل! كيف يمكنك أن تتكلم عن عرفان الجميل إنها ينعلق بسولانج!»

ثبتت جامدة بين ذراعيه ووجهها ملقىً في صدره الذي كان يعلو ويهبط في سرعة زائدة. كان يشبها نوع من الخجل لم تجرؤ على رفع عينيها. لكنه أسند ذقنها وأجبرها على التطلع اليه وجهاً لوجه. ثم أضاف يقول:

«الليلة التي تلت حفلة العشاء... الليلة التي رأيت سولانج في غرفتي.. كنت أعتقد أنها أنت، يا فلورا...»

كان يعلق أهمية كبرى على ردة فعلها أمام هذا التصريح. شعرت بذراعيه ينشنجان حولها بينما كان ينتظر جوابها.

فتحدثت والليها ينبض بسرعة:

«كنت تعتقد أنها أنا! لكن كيف...؟»

«عندما دخلت الى غرفتي، سمعت صوتاً... يشبه عنيف الفستان الذي ارتديته تلك الليلة. وكذلك تنشقت العطر الجديد الذي صنعته خصيصاً لك، وحسب علمي، لا أحد غيرك وصل اليه. اذاً، بالطبع...»

أكملت فلورا، غير مصدقة:

«اعتقدت أن الذراعين اللتين لفتا حولك هما ذراعي».

واستعادت المشهد في خلال ثوان قليلة. تذكرت الظرفة الخليعة على باب غرفتها. لا شك أن سولانج كانت تنتظر في الحمام وسمعت خطوات ألان في الممشى.

«آه، لقد لعبت دورها في كمال»

قال ألان بصوت ملتهب:

«فلورا»

شعرت فلورا أنها تذوب تحت نظره، وخاصة عندما تذكرت الكلمات التي لفظها سولانج في تلك الليلة «آه، يا حبيبي، لو تعرفون كم كنت مشتاقاً أن أختك بين ذراعي من جديد»

سألها في انفعال:

«هل تريدين أن أتذرع لك أكثر إن تصرفاتي كانت ناتجة في أغلب الأحيان من رغبتي اليائسة في أن أرى الزوجة الحنون التي أخلتني في إحدى الليالي إلى

همس بشغف وهو يقترب من فلورا أكثر فأكثر:

«يا إلهي، اذا كانت لديك أسئلة أخرى، فيجب ألاّ تنتظري لأردّ عليها. فاني أرفض أن أسير أكثر من ذلك»

عانقها بحنان وشعرت بأنها تتمتع على كل ما في الدنيا من سعادة.

مرّت فترة طويلة قبل أن يجزرها من نفسه. لكنه ظلّ يشتهيها.

وأمام وجه فلورا الوقح، همس

«فلورا، إني أحبك»

ثم أضاف:

«ظننت بأن لويس كان بالغ حينما كان يصف جمالك. لكنه كان يقلل من قيمته، يا حبيبتي. أنت أجمل مما كنت أتصوّر، ولم أر جمالاً في مثل هذه الروعة من قبل»

تسمّرت قبل أن ترفع عينيها المتخمرتين نحو نظراته السوداوين. وهنا خلفها، تناهت أمام الباب المتبقي من عتبه واجتاحتها لحظة عارمة جعلتها عاجزة عن النطق.

وفهم ما تعانيه وابتسم وهز رأسه ليبرهن لها أنه يقرأ هذا السؤال في عينيها

«نعم يا فلورا، إني أراقبك لهذا السبب أنا مدين لسولانج بحرمان الجميل. عندما جاءت الى غرفتي تلك الليلة، أخبرتها حقيقة شعوري نحوها وقلت لها أنني قررت أن لا ذراع غير ذراع فلورا يمكن اغرائي... ولذلك، عندما عرفت أن امي لم تعد في خطر، عدت الى المستشفى لأجراء الجراحة. والآن، يا حبيبتي، إذا أردت برهاناً أني لم أذهب الى باريس، فيمكنني أن أقدمه لك»

كانت الصدمة بالغة الأهمية إلى درجة أنها احتاجت الى كل قواها لضبط الانفعالات التي اجتاحت في نفسها. لكنه لم يكن صبوراً لينتظر ليسمع ردها، فاكتفت بالهمس:

«الآن، هل هذا صحيح؟»

«تماماً. لم أعد أحبها. ولم أحبها أبداً. وراح يداعبها لكي تعيد له ثقتها به. ما زال يريدها، كما يريد كل شيء في دنياه مما يملكه من عقلها

«فلورا إنك تهينني، يا فلورا. أريد أن أسمع ذلك منك»

«لقد احببتك دائماً، يا آلان»

«دائماً؟»

أبعدها عنه وحدق في نظرها. كانت سعيدة جداً أنه استعاد بصره، لكنها لم تعد قادرة على إخفاء ذلك الكتمان البسيط في رأسه

«هل صحيح أنك صدقت في البداية... أني تزوجتك من أجل ثروتك؟»

أخفضت عينيها وانتظرت. أجاب برصانة، من دون حقد

«أبداً، يا ابنتي الصغيرة. أقسم لك بذلك كنت أريد أن اقنع بذلك

وكنت أبحث عن حجة للانتقام من أهانتي وظني. لقد عاملتك معاملة سيئة، لكن، مع أسفي لعاملتي والعذاب الذي قاسيته، فاني لست مستعداً للندم على تصرفي بعد في تلك الليلة. لقد توجهت إليك عنيفاً بالغضب والمرارة وتركتك وظني علي بالحب والسلام والطمأنينة»

«كنت أهتني حينذاك»

كانت صرخة آتية من أعماق القلب. إنه صدى عذاب كبير يرتجف لمجرد تذكر العذابات التي قاستها. رفعت عينيها فرأت الندم في ملامحه. لكنه تذكرها وقال:

«نعم كنت أحبك حينذاك، كما سأحبك دائماً، يا فلي العزيز. كنت أشار من نوبس. وكنت فاقد الأمل من استعادة بصري. لكن لا شيء يمكن أن يعادل العذاب الضاري الذي كنت أشعر به أمام فكرة أن أخسرك»

«لقد من عليّ بحبك يا فرولند... لكم تمنيت سماعك تقول ذلك في الصباح حول فطورنا وسلوة الطمأنينة الزاهدة وتعلو ما كان سيقوم عليها بيننا... كلمتين فقط منحدان... دائماً...»

www.liilas.com

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 37

قال الزهر: آه

عندما يتوه الانسان في بحار الظلمات فاقدا بصره، هل يتلمس طريق الحياة معتمدا على حواسه الأخرى؟ أم يبحث عن انسان آخر يكون له بمثابة العصا!

الكونت الفرنسي ألان تريفيل حين تزوج فلورا الفتاة الانكليزية الرقيقة، هل منحها لقب كونتيسة لكي تكون لديها مهمة العينين للجسم؟

www.ahlas.com

لويس ابن عم الكونت على اتفاقها من الأمها.

فلورا سعت في زواجها من الكونت الى اسعاده وقررت أن تكون الشمعة التي تنير طريقه. هل تستطيع الشمس محو ظلام القلب؟ وهل يكون لعطر الزهور الدور المهم في قيادة الأعمى الى الحب والخلاص؟

لبنان ٧ ل.ل	الكويت ٧٠٠ ف	اليمن ٨ ر	السودان ٨٠٠ م
سورية ٨٥ ل.س	الامارات ٩ د	تونس ١ د	U.K. £ 1
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	ليبيا ٧٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ٩ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 120
السعودية ٨ ر	عمان ٩٠٠ ب	خنصر ٨٠٠ م	Cyprus P 1